14

كيف أتعلم الإسلام؟

تعليم ذاتي يُعرِّف المسلم بالذي يجب عليه تعلمه
من أمور دينه وبوسيلته في التعلم وتحصيل العلوم الشرعية

مركز أصول Osoul Center
www.osoulcenter.com
Rabwah

كيف أتعلم الإسلام؟

تعلم ذاتي ضمن سلسلة
السلوك والتزكية للمسلم الجديد

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com

ⓒ جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالربوة ، ١٤٤٥هـ

مركز اصول
سلسلة السلوك والتزكية (١٤) : كيف أتعلم الإسلام؟. / مركز اصول - ط١. .- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٤ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٧٣٦٥
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٧-٣٠-٠

- قام المركز بتصميم هذا الإصدار.
- يتيح المركز طباعة الإصدار ونشره بأي وسيلة مع الالتزام بالإشارة إلى المصدر، وعدم التغيير في النص.
- في حالة الطباعة يجب الالتزام بمعايير الجودة التي يعتمدها مركز أصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا، شرّف أمة الإسلام بالعلم وابتدأ وحيه لنبيه ﷺ بـ"اقرأ"، وأثنى على أهل العلم ورفع منزلتهم، وأوجب الأجر لمن طلبوا العلم وأوصى بهم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد؛ أفضل المعلِّمين وإمام الأنبياء والمرسلين، علَّمنا فأحسن تعليمنا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وعلى من تبعه من أهل العلم وطلابه، ومن اهتدوا بالعلم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أفضلَ ما تَقرَّب به المُتقرِّبون لربِّهم الرَّحيمِ هو العلمُ، وليس أيَّ علم، بل العلمُ به سُبحانَه، وبآياتِه، وأحكام دِينِه، وبسُنَنِ رسُولِه -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ-، ولذلك لم يَحصُرِ اللهُ خشيتَه إلَّا لِمَن عرفه حقَّ معرفتِه، فقال سُبحانَه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨]؛ فلم يَصِلِ الصَّادقون في خشيتِهم للهِ إلى ما وصلوا إليه إلَّا بالعلمِ.

وكُلَّما كان العبدُ باللهِ أعرفَ؛ كان منه أخشى وأخوفَ، وبقدرِ معرفةِ العبدِ للهِ يكونُ امتثالُه لأمرِه، واجتنابُه لنهيه، فيكونُ بذلك مُمتثِلًا للعبوديَّةِ الحقَّةِ له سبحانه، فيصير مؤهلًا للفوز برضوانه وجنته.

وكلما ازداد الإنسان علمًا ارتفعت مكانته وعلت رتبته، فالله - سبحانه - يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ويقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١]، ولهذا يحرص المسلمون على تعلم دينهم ليدخلوا في جملة من يرفع الله قدرهم ويرضى عنهم.

وقد يحتار المسلم في رسم خطته المناسبة لتعلم دينه، وإن من التحديات التي تواجهه في هذا العصر: معرفة ما الذي يجب عليه تعلمه من أمور دينه ابتداءً، ووسيلته في التعلم وتحصيل العلم الشرعي، خصوصًا مع انتشار المعرفة بشكل يجعل المرء في حيرة؛ من أين يبدأ؟ وماذا يأخذ وماذا يترك؟ وكيف يفرِّق بين المصدر الموثوق وغير الموثوق؟

وفي هذا الكتاب، سنستعرض هذه الأمور -بحول الله تعالى- ليكون عونًا لك أيها المسلم لمعرفة أجوبة هذه التساؤلات وغيرها مما يخطر في بالك في رحلتك لتعلُّم أمور دينك.

واللهَ نسأل أن يجعل فيه النفع والتثبيت، والحمد لله رب العالمين وبه نستعين.

محتويات الكتاب

المحور الأول

مفهوم العلم الشرعي

تمرين تمهيدي ١٠

طلب العلم وصية رسول الله ﷺ ١٢

مفهوم العلم في الإسلام ١٦

التقويم ٢٢

المحور الثاني

التكامل بين العلم الشرعي والعلم الكوني

العلم النافع ٢٨

مصدر العلوم كلها العليم الحكيم ٣٢

العلوم الشرعية والعلوم الكونية تتكامل وتتضافر ٣٦

التقويم ٤٤

المحور الثالث

حكم طلب العلم وفضله

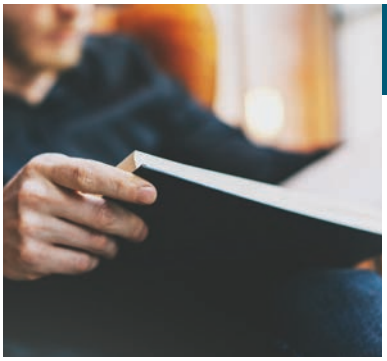

حكم طلب العلم في الإسلام ٥٠

لماذا يتعلم الناس؟ ٥٦

لماذا يتعلم المسلمون؟ ٥٨

فضل علوم الشريعة ومكانة طلابها ٦٠

التقويم ٦٦

المحور الرابع

أولويات التعلم

ما لا يسع المسلم جهله ٧٢

خطة مقترحة لأولويات التعلم للمسلم الجديد ٧٤

التكامل في تعلم الإسلام ٨٠

التقويم ٨٢

المحور الخامس

العلم الشرعي في حياة المسلم

كيف أتعلم العلم الشرعي؟ ٨٦

قواعد التمييز بين الصواب والخطأ ٩٢

مصادر العلوم الشرعية وكيفية التعامل معها ٩٨

طرق تحصيل العلوم الشرعية ١٠٢

تعلُّم الإسلام من خلال الإنترنت ١٠٨

التقويم ١١٤

المحور السادس

ماذا بعد التعلم؟

آداب طالب العلم ١٢٠

العلوم الشرعية تستلزم التطبيق والعمل ١٢٤

التقويم ١٢٨

مفهوم العلم الشرعي

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح مفهوم العلم عمومًا.
- يوضح مفهوم العلم الشرعي وأنه يدخل في المفهوم الشامل للعلم.
- يتبين خطأ من قصر العلم على ما يُستدل عليه بالتجريب والملاحظة والاستدلال.

تمرين تمهيدي

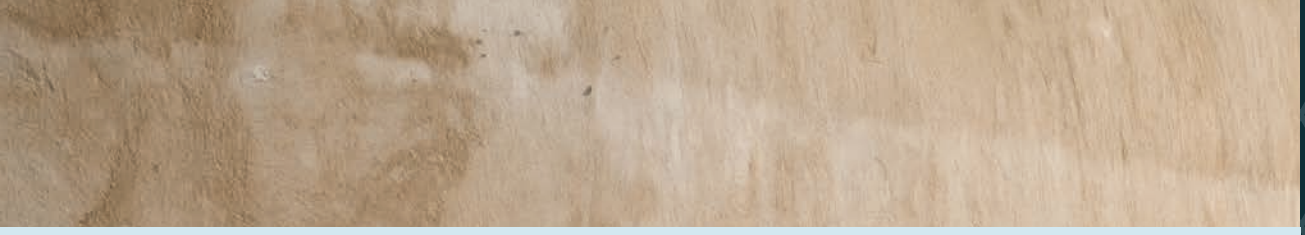

مما يعالجه هذا الكتاب: مفاهيم العلم والتعلُّم، والعلم يأتي في كلام الناس وصفًا لمفردات عدة مثل: التجريب، المعرفة، الاستنتاج، الوحي، العلم الشرعي، الإدراك.... إلخ.

حاول عمل ما يأتي:

١. فكِّر في عبارات أخرى سمعتها أو قرأتها أو يمكنك الآن أن تصوغها، تتحدث عن هذه المفاهيم وما يتعلق بها. اكتب أكبر عدد ممكن من العبارات، وليكن هدفك الوصول لثلاثين عبارة.

٢. صنِّف العبارات التي كتبتها وفق عدد من المعايير:

أ. معيار القيمة: محمودة (مرغوبة) أو مذمومة (غير مرغوبة).

ب. معيار الوضوح: ذات دلالة واضحة أو غامضة.

ت. معيار الاستعمال: كثيرٌ أم قليل.

ث. معيار الانطباق: (ينطبق) أو (لا ينطبق).

ج. فكِّر في معايير أخرى، واستعملها في مزيد من طرق التصنيف.

٣. ما أهمية هذا التمرين برأيك؟

٤. بعد الانتهاء من قراءة هذا الكتاب، تستطيع العودة إلى هذا التمرين لتكتشف عددًا من العبارات التي لم ترد الإشارة إليها في الكتاب.

٥. طبِّق هذا التمرين على مفاهيم أخرى ترد في ذهنك، مثلًا: الفكر، العلم الشرعي، آداب المتعلم...إلخ.

طلب العلم وصية رسول الله ﷺ

دعوني أشارككم قصتي والمسلمَ الجديد الذي سمَّى نفسه عبد العليم حول موضوع "تعلم الإسلام"، ولمن لم يسبق له أن يقرأ شيئًا من كتب هذه السلسلة، فدعوني أعرفكم أولًا بنفسي وبعبد العليم!

أنا مدرس في الجامعة وفي المساجد، وهو باحث عن المعرفة والحقيقة، وكان منذ الأيام الأولى -بعد نطقه الشهادتين- متعطِّشًا للمعرفة، ولفهم كل ماله علاقة بالدين الإسلامي.

سألني عبد العليم يومًا: كيف أتعلم ديني؟

ثم تابع وعلى وجهه علامة الخجل: أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك بأسئلتي.

قلت له: أهلًا ومرحبًا بوصية رسول الله ﷺ.

فقال مندهشًا: أنا وصية رسول الله؟

قلت: نعم، هكذا روى التابعي الجليل أبو هارون العبدي عن شيخه الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري، قال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري قال: «مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يوصينا بكم».

[رواه الحاكم في المستدرك وصحَّحه].

ماذا تفهم من هذا الحديث؟

علام تدل وصية رسول الله ﷺ بطلبة العلم؟

ما الذي جعل الصحابة أشخاصًا مقصودين بالزيارة والسفر إليهم؟ ماذا كان عندهم ليعطوه للناس؟

قال عبد العليم: أجد حرص النبي ﷺ على طلاب العلم وعنايته بهم كبيرة جدًّا، وأجد الصحابة أهل علم يأتي الناس للتعلم عندهم.

قلت: نعم، فطلاب العلم اليوم هم علماء الغد، والعلماء هم صمام الأمان في الأمة والرافعة الحضارية لها، وسر تفوقها، والأمة التي لا تقدِّر طلاب العلم فيها أو تؤذيهم أمة خاسرة لا محالة، وكان رسول الله ﷺ يدرك ذلك، ويؤسس لأعظم حضارة ويهيئ المسلمين لصنعها.

"لا يجد الإجابة إلا من يؤرقه السؤال".
علي عزت بيغوفيتش.

قال عبد العليم: لقد شجعتني على طرح أسئلتي وما يشغل بالي، وأول ما أود معرفته هو: كيف أطلب العلم وأتعلم ديني وما الذي يعينني على ذلك؟

قلت: العلم كمدينة كبيرة مترامية الأطراف، متعددة الأحياء، متنوعة الطرق، وكثيرة التنوع، إذا دخلتها وأنت غريب عنها من غير خريطة دلالية ستضيع في أرجائها، ولن تحصّل كل ما تريد منها، فأنت بحاجة لمنهجية في طلب العلم، تكون مدخلًا يوجهك في رحلتك، ويعينك على الطريق وعراقيله وتشعبه.

ما قبل البدء بطلب العلم:

وقبل أن نتعلم أي علم لابد أن نسأل أنفسنا خمسة أسئلة:

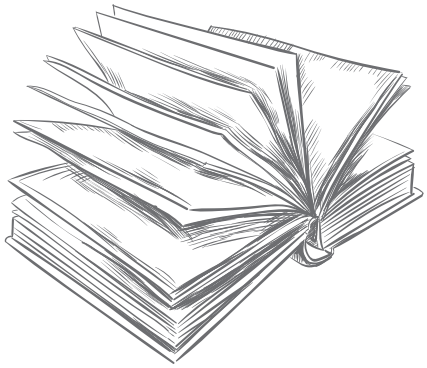

١. لماذا نتعلم؟ ما الغاية من هذا العلم؟
٢. ما فضل هذا العلم وما مكانة أهله؟
٣. ماذا نتعلم؟ وما المحتوى الذي سندرسه وما أولوياته؟
٤. كيف نتعلم؟ وما الوسيلة والأدوات التي تساعدنا على التعلم؟
٥. ماذا علينا بعد أن نتعلم؟

فإدراك الغاية، ومعرفة الفضل والمكانة تدفع لخوض رحلة التعلم على بصيرة، وتدفع الملل والكلل، وتوجهك لتصحيح النيّة فتكسب الأجر.

والإلمام بما هي العلوم التي يجب أن يتعلمها المسلم تنظم الأولويات، وتقدم ما حقه التقديم، وتؤخر ما حقه التأخير.

والدراية بماذا يتعلم من علوم الشرع وفضلها تعطي همة وحافزًا للتعلم.

ومعرفة كيفية التعلم تبصّر بالسلم التعليمي وكيفية ارتقائه، وتعرّف المرء بمكانته، وأن فوق كل ذي علم عليم، فلا يصاب بوهم المعرفة وانتفاخ المتعالم، وتمهد له الطريق لمعرفة المهارات التي عليه أن يحوزها ليبدأ رحلته المعرفية، فيتعلم ماهي شروط طلب العلم، وأركان العملية التعليمية، وعوائق طلب العلم، وآداب المتعلم، والخطط المقترحة للتعلم، وغير ذلك.

وفي الختام: وجب أن يعرف المسلم ماذا يفعل بهذا العلم الذي جمعه في نفسه ومع الناس؛ لأن العلم بلا اعتقاد ولا عمل هو جهد ضائع وحجة لله على عبده يوم القيامة.

هكذا تكون جولتك في مدينة العلم جولة نافعة.

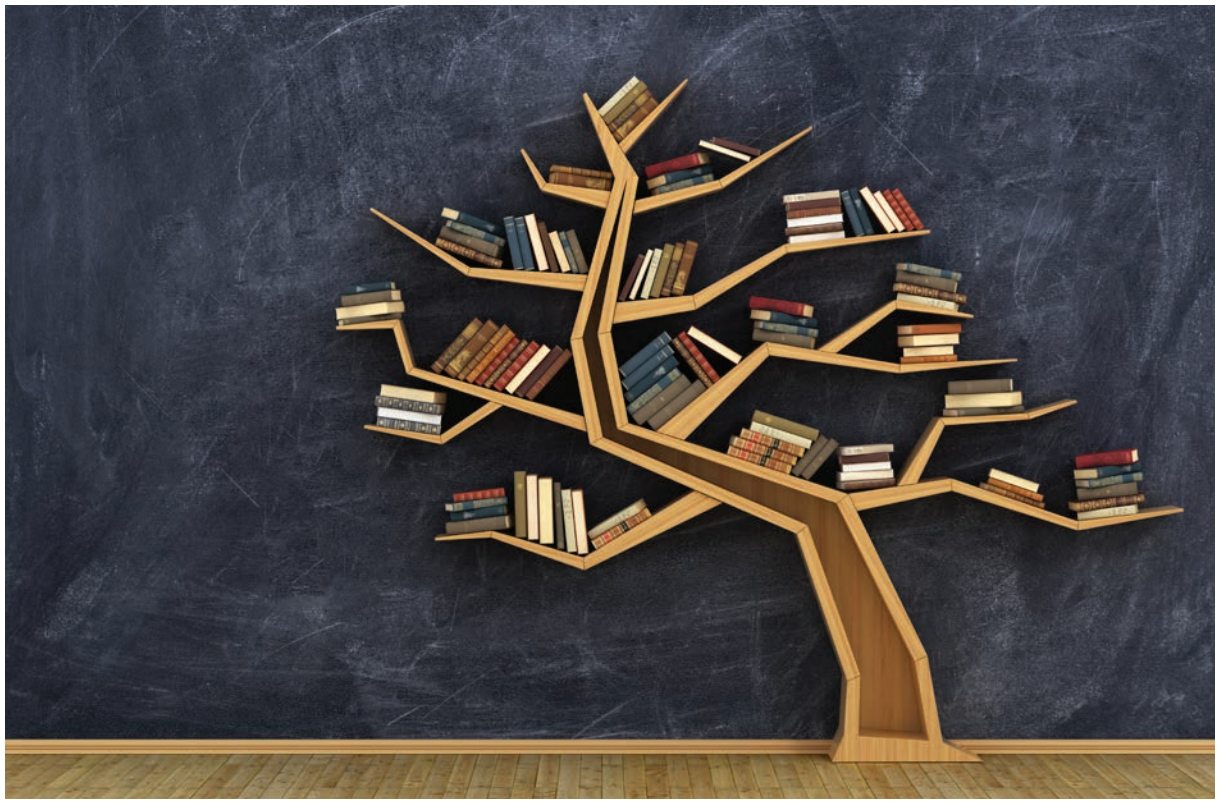

ناقش

كيف ينظر الإسلام للعلم؟ وهل يدعو له؟ استدل على ما تقول ببعض الآيات والأحاديث الشريفة.

مفهوم العلم في الإسلام

قال عبد العليم: تشبيهك جميل، لكن ألا تشرح لي ماهيّة المدينة؟ مدينة العلم أقصد. ما هو العلم؟ وهل علوم الأديان تدخل في مُسَمَّى العلم؟

قلت: سؤال جيد، اقرأ معي بتدبُّر وتأمُّل النصوص الآتية:

١. قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤]، ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء:٧٩].

٢. وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٤]، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨].

٣. قال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ» وذكر منها: «عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ» [مسلم١٦٣١].

فالآن أجب عن هذه الأسئلة:

١. في المجموعة الأولى من الآيات: على ماذا تدل كلمة العلم بحسب ما تفهمه من النصوص؟

٢. في آية الزمر: ما الذي ينبئ عن الجهل واستنكرته الآيات؟

٣. في آية الأعراف: لماذا أطلق اللفظ (تجهلون) ولم يحدد يجهلون ماذا؟

هل يدل إطلاق الجهل على المعنى الكامل الشامل: الجهل من الجهالة ضد المعرفة، والجهل من الحماقة ضد العقل؟

٤. هل مفهوم العلم في الحديث الشريف يشمل كل علم ينتفع به المسلم في نفسه أو ينفع به الناس ولو لم يكن من العلوم الدينية المحضة؟

٥. ما مصدر العلوم بحسب ما فهمته من النصوص السابقة؟

انتبه

كل مدح أو ثناء في الكتاب والسنة على العلم، أو حضّ عليه، فالمقصود به العلم الشرعي، أما العلوم الدنيوية، فما كان منها نافعًا للمسلم أو الأمة فيمدح بالتبعية، وما كان غير نافع فلا يُمدح.

لعلك تعلم أن: العلم في اللغة نقيض الجهل، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

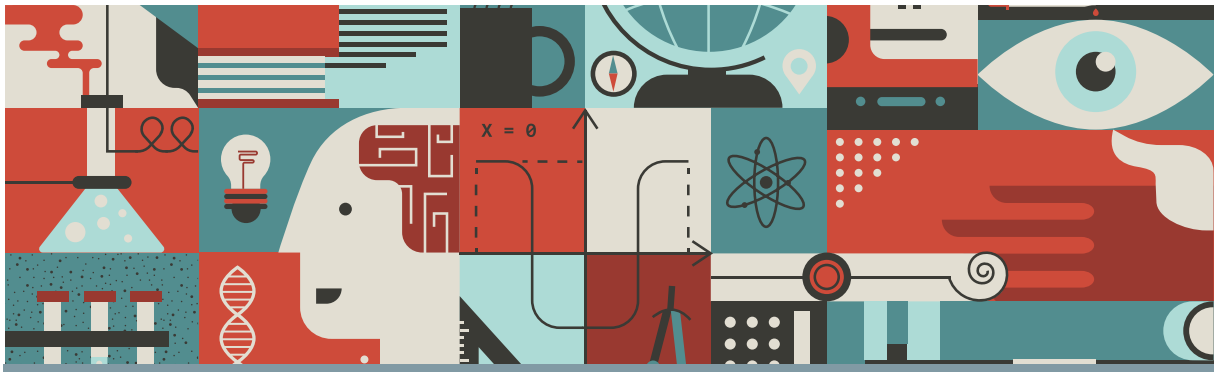

في عصرنا الحالي هناك تصوران لمفهوم العلم:

الأول: هو التصور الذي يحصر العلم بتلك المعرفة التي يتوصل إليها بالتجريب والملاحظة والاستنتاج، ويقابل هذا في الإنجليزية كلمة (Science).

الثاني: هو الذي يطلق مفهوم العلم على كل معرفة من المعارف؛ سواء أكانت تجريبية أم تاريخية أم تربوية، وبغض النظر عن مصدرها سواء أكان من العقل أم الوحي أو أي مصدر يأخذ به العلماء، ويقابل هذا التصور في الإنجليزية كلمة (knowledge).

لاحظ

والمسلم يتبنى التصور الثاني؛ لأنه الموافق للعقل وللحجة القرآنية قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، فمن هذه الآية نفهم أن:

- العلم ليس منحصرًا في المادة وما تدركه الحواس وتوصل إليه بالتجريب والاستنتاج وحده، فمجال الروح مما لا يحيط الإنسان به، إلا أنه لا يمكن نفي وجوده أو تجاهله.
- العلم عملية مستمرة، ومساحة واسعة فيها المزيد والجديد، والمسلم حين يستعصي عليه أمر في العلم يلجأ إلى الله ويتضرع إليه أن يهديه إليه.

مفهوم العلم مفهوم شامل، وما العلم التجريبي إلا جزء يسير منه، وهو إدراك شامل يحيط بحقائق الأشياء وحقائق الوجود، سواء أكانت محسوسة ومشاهدة أم غائبة غير مشاهدة، فيشمل المعرفة التي جاء بها الوحي بما يتضمنه من: غيب غير مشاهد، أو أمور محسوسة، كما يشمل معرفة قوانين الله في الكون وتطبيقاتها.

وفق هذا المعنى للعلم يتعرف الإنسان على ملكوت السماوات والأرض، ويتعرف على عظمة الله تعالى وقدرته الفائقة في الخلق؛ فتتقوى وتتعمق دوافع خشية الله في قلبه، ويتواضع لله تعالى الذي قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦]، ويتعرف على قوانين الخلق فيكون أقدر على تسخيرها لخدمته، وبهذا يكون العلم وسيلة المؤمن لإعلاء كلمة الله وإقامة شرعه ونظامه في الأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت :٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية ١٣].

قال أهل العلم:

العلم أوضح من أن يُعرَّف؛ فقد عرفت البشرية هذه الكلمة من بدايتها حين عرّف الله سبحانه آدم -أبا البشر- الأسماء كلها، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، ومن هذه الآية وغيرها نفهم أن:

العلم أساس للدين والدنيا، ومصدره الخالق سبحانه، وبغير العلم لا يكون الإنسان مؤهلًا لمهمة الاستخلاف في الأرض، وبغيره لا تتحقق مصالحه.

نشاط إثرائي

ابحث في الشابكة الإلكترونية عن معاني العلم ومصادر المعرفة، واذكر أثر الاختلاف بينها في الواقع. بإمكانك الرجوع إلى كتاب "المنهج السليم في التعامل مع الشُّبهات والمشكِّكات" من هذه السلسلة، وإلى كتاب محمود عبد الرحمن عبد المنعم "معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية"، وأيضًا لكتاب الدكتور راجح الكردي "نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة".

المقصود بالعلم الكَوني والعلم الشرعي:

قال عبد العليم: فما هي العلوم الكونية والعلوم الشرعية؟

قلت:

العلوم الكونية: هي تلك العلوم التي تدرس الموجودات في الكون وأسرارها ووظائفها والقوانين التي تحكمها، كعلم الفيزياء الذي يدرس القوانين التي تحكم المادة؛ كالجاذبية وقوانين الحركة، وعلم الأحياء الذي يدرس الكائنات الحية، من حيث طبيعتها وتركيبها وغير ذلك، وعلم الفلك الذي يدرس الكواكب والنجوم وأبعادها ونشأتها، وكعلوم الطب والهندسة وعلم النفس والاجتماع وغير ذلك من العلوم.

أما العلم الشرعي: فهو العلم بما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى، والمعارف التي تخدم ما جاء به الشرع الإلهي، وتشمل ما كان مطلوبًا تعلمه لذاته؛ كعلوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والتوحيد والسيرة، وما كان مطلوبًا من باب الوسائل كالعلوم المساعدة، مثل علوم اللغة العربية وأصول الفقه ومصطلح الحديث.

نشاط إثرائي

ابحث في القرآن الكريم عن المواضع التي ذكر فيها " العلم والجهل" وصنفها في جدولين، وسجل معانيهما وعلام تدلان في كل موضع، مستعينًا بأحد التفاسير المعتمدة، كتفسير القرآن العظيم لابن كثير.

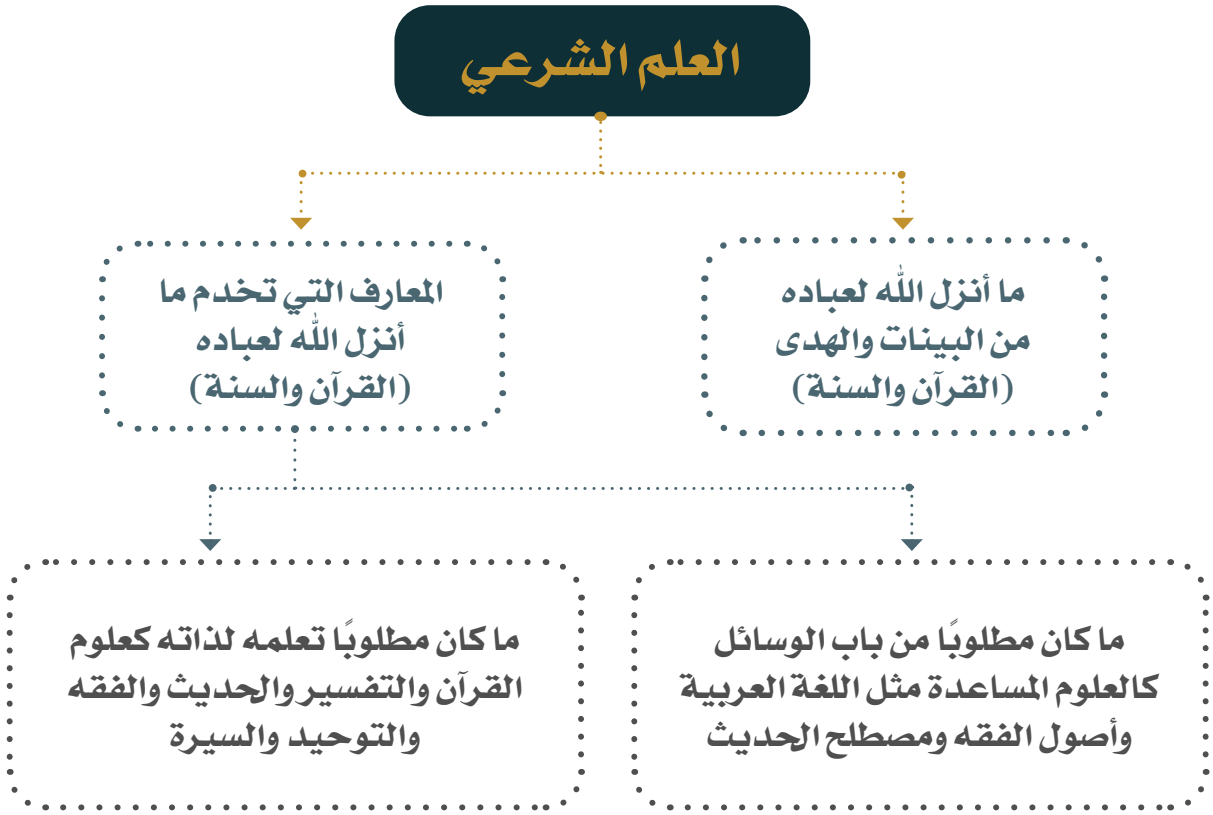

اختلفت عبارات القدماء والمعاصرين في تعريف ماهية العلم، والذي يوافق اللغة هو القول بأن "العلم هو المعرفة" [السفاريني ت١١٨٨هـ].

العلم اصطلاحًا: هو الإدراك الجازم المطابق للواقع والناشئ عن دليل.

العلم عند المسلمين: مفهوم واسع شامل لا يحصر العلم بجانب من الجوانب، ولا بمنهجية دون أخرى، فيدخل في هذا: علوم الدنيا التي بها يعرف الإنسان قوانين الأرض ليعمرها، وعلوم الوحيين من قرآن وسنة وما تفرع عنهما؛ وبها يعرف الإنسان مراد الله منه، فيفعل ما يحب ويترك ما يكره لينال رضاه والجنة، وبها يحقق الاستخلاف في الأرض وَفق المنهج الرباني، فالعلم: يشمل كل ما ينفع من المعارف في أمور الدنيا والآخرة.

علوم الشرع وما جاء به الوحي من القرآن والسنة النبوية تدخل في مُسمَّى العلم لغة واصطلاحًا دخولًا أوليًا، وينبغي على المسلم أن يتعلمها ويعمل بها.

خلاصة

التقويم

١ علِّل ما يلي:

١. لا يصح حصر مفهوم العلم بتلك المعرفة التي يُتَوصَّل إليها بالتجريب والملاحظة والاستنتاج فقط.

٢. مفهوم العلم في الإسلام يشمل كل علم ينتفع به الإنسان في نفسه أو ينفع به الناس.

٣. العلم في الغرب اليوم مقطوعُ الصلة بالجانب الإيماني.

٢ ما الفائدة من معرفة أجوبة الأسئلة التالية:

١. لماذا نتعلم؟

٢. ماذا نتعلم؟

٣. كيف نتعلم؟

٤. ماذا علينا بعد أن نتعلم؟

٣ ما المقصود بالعلم الشرعي؟

٤ لماذا كان تعلم اللغة العربية ضروريًا لتعلم الإسلام؟

٥ أجب بصح أو خطأ وبين موضع الخطأ:

١. الاستخلاف في الأرض يكون بعلم وبغير علم.

٢. الوثنية في نظر الإسلام جاهلية.

٣. العلم: ليس إلا القوانين المكتشَفة في الكون والتي تسهم في السيطرة عليه وتحسين حياة الناس.

التكامل بين العلم الشرعي والعلم الكوني

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يفرق بين العلم النافع والضار.
- يستنبط أن مصدر العلوم كلها العليم الحكيم؛ خالق الكون ومبدعه.
- يربط بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية برابط التكامل تحقيقًا للحكمة الإلهية.
- يتحقق من حض الإسلام للمسلم على أن يجمع إلى علمه الشرعي ما يستطيعه من العلوم الكونية في ضوء ضرورات وحاجات الأمة.
- يحسن الموازنة في طلبه للعلم بين الضرورات الأخروية والضرورات والحاجات الدنيوية، وأن يجمع بينهما بقدر الاستطاعة.

العلم النافع

رأيت على وجه عبد العليم علامات القبول والارتياح، كالسائح حين يجد خريطة توضح معالم مدينته التي يزورها، لقد كانت الإجابات ماء يسقي عطشه، إلا أن الظمأ للمعرفة لا يزال واضحًا في عينيه، خصوصًا عندما أطلعني على فكرتين متناقضتين سمعهما من عدة أشخاص: فبعضهم يُزَهِّد ويقلل من أهمية دراسة العلوم الكونية، ويدعو للاقتصار على دراسة ما سمَّاه "علوم الآخرة"، وبعضهم يدعو للعكس!

قلت له: هذا خلط خاطئ لا ينبغي أن نقع فيه، تفكَّر في النصوص التالية:

- قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤].
- وقال جلَّ وعلا: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق:١].
- وفي دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا» [مسلم: ٢٧٢٢].

● وكان رسول الله ﷺ يحض على العلم النافع ويحث عليه فيقول: «سَلُوا اللّٰه عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللّٰهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ» [ابن ماجه: ٣٨٤٣، وحسنه الألباني].

١. في الآية الأولى: أمر الله نبيه ﷺ أن يطلب الزيادة في العلم، علام يدل ذلك برأيك؟

٢. في الآية الثانية: الأمر بالقراءة باسم الله الخالق، علام يدل ذلك؟

٣. هل الأمر بالقراءة يشمل قراءة وتدبر وفهم كلمات الله القرآنية في كتابه المسطور (القرآن)، وكلماته الكونية في كتابه المنظور (الكون)؟

٤. في الأحاديث الشريفة: ما مقياس العلم النافع؟ أهو مقياس فردي أم مصلحة الأمة وإقامة أمر الدين؟ أم كلاهما؟

٥. من وجهة نظرك هل مصلحة الأمة وقيام أمر الدين أمران متلازمان أم منفصلان؟

لاحظ:

الآيات في المصطلح القرآني نوعان:

أ. آيات مقروءة: وهي آيات القرآن المعروفة المحددة في المصحف الشريف وقد أمرنا الله عز وجل بتلاوتها وتدبرها.

ب. آيات كونية: وتتمثل في أسرار المخلوقات والسنن الكونية والظواهر الطبيعية والآثار التاريخية والمعجزات الخارقة التي أيد الله بها الأنبياء والرسل عليهم السلام.

والآيات المقروءة كثيرًا ما تدعو الى التّأمل والتّفكر في الآيات الكونية؛ لفهم أسرارها وتقدير خالقها ومبدعها، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات ٢٠ -٢١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [الشورى ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

جاءت الأحاديث النبوية لتُنَبِّه على أن هناك علومًا نافعة ينبغي للمسلم أن يستزيد منها، وأن هناك علومًا ليست بنافعة ينبغي الابتعاد عنها، ولا يشك عاقل أن كل علم يفيد البشرية ويحسِّن من حياة الإنسان أو يسهِّل على الناس طرائق معيشتهم هو علم نافع، وكذلك كل ما يفيدهم في معرفة ربهم وغاية خلقهم ويقرِّبهم من الجنة ويباعدهم من النار هو علم نافع.

لكن هل خطر في بالك ما هو العلم غير النافع يا عبد العليم؟

قال عبد العليم: لعله عكس العلم النافع، وهو ما لا يفيد البشرية، ولا يسهل على الناس حياتهم، ولا يُعرِّفهم بربهم ودينه الحق.

قلت: نعم صحيح، فهو كل علم لا ينبني عليه عمل ذو منفعة، ولا طائل من ورائه، وما هو إلا مضيعة للوقت، ومثال ذلك من يبحث في نوع الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام، بل أكثر من ذلك، فهناك علوم ضارة مؤذية كعلوم التنجيم، والسحر والشعوذة، وصناعة الأفلام الإباحية، وغير ذلك، قال تعالى عن قوم يتعلمون السحر:

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [البقرة:١٠٢].

ومثله أيضًا استعمال العلوم النافعة في تزيين الحرام؛ كاستعمال الفصاحة والبلاغة في تزيين الباطل ونصرة الظالم، فهذا مما يحرم على المسلم.

نشاط

في سورة البقرة آية يذكر الله عز وجل فيها جملة من الموجودات الكونية والظّواهر الطّبيعية، مؤكّدًا أنّها علامات تدل الذين يستخدمون عقولهم على وجوده وعظمته، ابحث عنها وتفكّر فيها وشاركها غيرك.

مصدر العلوم كلها العليم الحكيم

قال عبد العليم: فهمت من النصوص السابقة أن العلم وسيلة التعرف على الله سبحانه وعمارة الأرض، وأن العلم الممدوح يشمل كل علم ينتفع به المسلم في نفسه أو ينفع به الناس، ولو لم يكن من العلوم الشرعية المحضة، فلماذا التفريق بين العلوم الكونية والشرعية إذًا؟

قلت: هذا سؤال هام جدًّا؛ لأن علماء الأمة الإسلامية عبر التاريخ كانوا يدركون وجود التكامل والتقاطع بين علوم الوحي وعلوم الكون؛ لأنهما يصدران من خالق واحد، فمن خلق هذا الكون ووضع قوانينه هو من أنزل الكتب وأرسل الأنبياء للناس لهدايتهم، وأمر خلقه باكتشاف قوانينه في كونه وتسخيرها لإقامة حياتهم وفق شرعه، وأمرهم بتعلم دينهم والتفقه فيه، وهذه النظرة الجامعة نابعة من شهادة التوحيد، شهادة لا إله إلا لله.

وللمعرفة عند المسلمين مصدران وحيدان، الأول: هو الوحي الذي يتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والثاني: هو الكون بما فيه، وهذا هو المصدر الذي أمر الخالق سبحانه وتعالى الإنسان بالنظر والبحث والسير فيه، للتعلم والاكتشاف، ووعد بتيسير سبل هذا التعلم في آيات كثيرة: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾، ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟﴾، ﴿قُلْ سِيرُوا۟﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾، ولا يتصور وجود تناقض بين علوم

الكون وعلوم الشرع لأنهما من مصدر واحد، فالشرع من الله عز وجل، وهو خالق الكون بما فيه من قوانين تضبطه وتنظمه ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، فملاحظة التكامل بين نوعي العلم، وملاحظة وحدة مصدرهما، مع استخدام أداة العقل بوصفها مستنبِطًا للعلم من النص ومن الكون؛ أدى إلى ظهور ونشوء علوم شرعية وغير شرعية كثيرة ومتنوعة، أسهمت في بناء الحضارة الإسلامية على مرِّ القرون بناءً قويمًا ومتينًا.

قال عبد العليم: هل أفهم من كلامك أن الحضارة الإسلامية قامت على المزاوجة بين الدين والعلم، لوجود التكامل بينهما، وليس على الفصل بينهما، أو إلغاء أحدهما للآخر، كما وقع للغرب حينما وجدوا تناقضًا بين الدين المحرَّف والعلم التجريبي، فجعلوا بينهما شرخًا كبيرًا، وأقاموا بينهما حربًا، حتى أدركوا أنه لا مخرج من هذه الحرب إلا بانتصار العلم التجريبي وانهزام الدين المحرَّف وإنكار كل ما هو غيبي؟

قلت: نعم، لقد جعلوا العلم التجريبي خصمًا وحكَمًا! بل ذهبوا لدرجة إنكار كل ما لا يقع تحت التجريب والاستنتاج؛ فأنكروا كل الغيبيات، وفسَّروا الكون بالظواهر المادية فقط.

أما المسلمون فيؤمنون بمبدأ التوحيد في المعرفة، ويرونه الأساس والأصل الذي تنطلق منه فكرة تكامل المعرفة البشرية في مرجعية واحدة؛ هي الله سبحانه، سواء أوحى الله تعالى بهذه المعرفة عن طريق الرسل والكتب المنزلة، أو وهبها لخلقه عن طريق الاكتساب أو الكشف، من خلال التعامل مع الكون الذي نعيش فيه فهمًا وتسخيرًا.

وكذلك يتجلى مفهوم التوحيد في كون أدوات المعرفة البشرية هي هبة من الله للإنسان، وهذه الأدوات هي الحس المادي والنظر العقلي، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨]؛ ولهذا فإن وحدة المعرفة في الإسلام من حيث المصدر والأداة، أساس تكامل علوم الوحي مع علوم الكون.

نموذج (معادلة) التكامل المعرفي

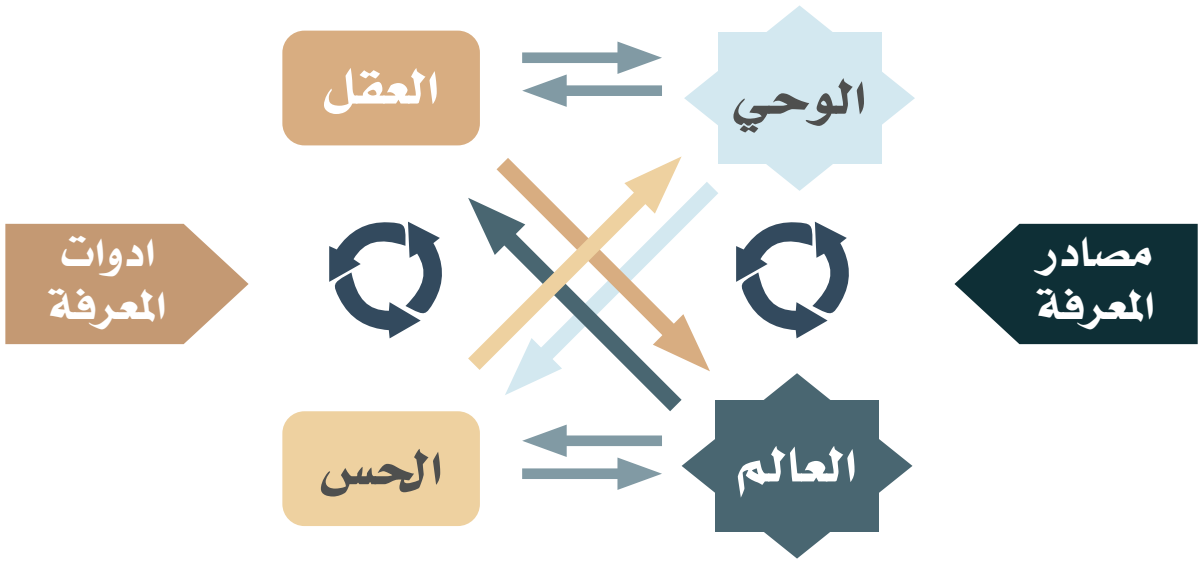

نشاط إثرائي

ابحث في القرآن الكريم عن الآيات التي فيها: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾، ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾، ﴿قُلۡ سِيرُواْ﴾، ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾، ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾

واكتب قائمة بالمواضيع أو العلوم التي طلبت الآيات إعمال العقل فيها تفكرًا ودراسة، ثم انظر في القائمة واكتب ماذا تستنتج منها.

ناقش

كيف يكون العلم وسيلة للتعرف على الله سبحانه وعمارة الأرض؟

ارجع إلى كتاب «**أنت تسأل والقرآن يجيب**» من هذه السلسلة لتتعرّف على كيفية تعريف القرآن بالله عز وجل.

العلوم الشرعية والعلوم الكونية تتكامل وتتضافر

تابع عبد العليم حواره وطرْح أسئلتِه، ووصل لسؤال غاية في الأهمية، فقال:

ما أهم فائدة لمعرفة أن مصدر العلوم كلها العليم الحكيم خالق الكون ومبدعه؟

قلت: هذه يسميها العلماء النظرة التوحيدية، أو الوحدة المعرفية، وهي التي تجمع الإنسان والكون في علاقة مركَّبة لا تناقض فيها ولا تعارض، بل تتكامل وتتضافر فيها المفاهيم من أجل تحرير الإنسان من عبودية الطبيعة أو الهَوى، إلى عبودية وتوحيد الخالق؛ رب الكون والإنسان، كما تجعل هذه النظرة أصل العلاقات بين البشر مبنيًّا على التعارف؛ لتحقيق مبدأ التكامل والاستخلاف وعمارة الأرض التي جاء بها القرآن الكريم.

فأصل العلاقة بين العلوم، هو الدلالة على الله، وتسخيرها لخدمة عباده؛ ليزدادوا معرفة به وقربًا منه سبحانه، وهذه النظرة كانت سائدة عند المسلمين على مر العصور.

أما اليوم فنجد الفصل بين العلوم قائمًا، ونجد العلم الشرعي في مقابل العلم الكوني، بل نجد العلم الكوني علومًا مجزَّأة، وكلها منفصلة عن العلم بالله، وقد أنتجت هذه النظرة للعلوم تفكُّكًا في نظرة الإنسان للكون من حوله، فصار يرى كل قضيةٍ في المجال المحدد الذي تُطرح فيه فقط، فصار من الممكن الحديث عن أي علمٍ بشكلٍ منفصلٍ عن مدلولاته الأخلاقية، وغاياته المقاصدية، فلا تستغرب حينها من رجل تظهر عليه سيما التدين يتحدث في الاقتصاد دون

الالتفات إلى حرمة الرِّبا، ولربما تجد من يعرض في محل بيعه صورًا محرمة باتفاق، بدعوى الفن، أو الجمال، أو الاقتصاد.

فالتفكك المقصود اليوم ليس لتمييز العلوم عن بعضها، إنما هو فصل كل مجال دنيوي عن المرجعية الإلهية الحاكمة، وتغييب الدين عن تسيير الخَلْق والعالَم علميًّا وفكريًّا وسياسيًّا، إضافة إلى تحديد فهم العلم الواحد بلغة علمائه المتداولة وكتبه المتخصصة، بحيث ينتج النظام الفكري والتعليمي المعاصر أفرادًا لا ينظرون لأي معطًى بشكلٍ إجمالي، إنما بصفته المجرَّدة التي تحددها فرضيات مجاله وحدها؛ وهذه النظرة التفكيكية للعلوم تُولِّد إشكالات عدة.

قال عبد العليم: بتفكيري بما دار بيننا من حوار تتكشف أمامي إشكالات كثيرة عند غياب النظرة التوحيدية، وما نتج عنها من تفكك معرفيٍّ وقِيَميٍّ، وانفصال تام أو شبه تام بين العلوم الدينية والعلوم الكونية المدرَّسة في المدارس والجامعات، فبدل أن تكون هذه العلوم دالَّة على الله، مقوِّية للإيمان به، صارت متنكِّرة له مفصولة عنه، جافة الروح، قاصرة الغاية.

سكت عبد العليم قليلًا ثم أضاف: هنا يتبادر لذهني سؤال: ماذا يجب عليّ كطالب علم مسلم، من أجل تحقيق تحصيل علميٍّ جيد ومتكامل في ظل هذه الإشكاليات؟

قلت: لابد للمسلمين -كجماعة وأفراد- من الوعي بهذه الإشكالات، وأثرها على الطلاب المسلمين، بل على الإنسان، ثم العمل لتوجيه العلوم إسلاميًّا عبر إعادة التكامل بين الشرعي والكوني، و إعداد وتوجيه مناهج العلوم الكونية وَفق النظرة التوحيدية؛ لتكون دالة على الله مرتبطة بتعاليمه، محرِّكة لعقول وقلوب طلبة العلوم لربطها بالله تعالى وغايات خلقه لعباده، والقيم التي ارتضاها لهم؛ حتى لا يحدث الانفصام في شخصية طلاب العلم. و يجب التركيز على إيجاد نظام تعليمي بديل عن الفكر المتكر لتعاليم الوحي، نظام ينبثق من روح الإسلام، من أجل تخريج الإنسان الصالح الذي يدرك حقيقة أصله، ووجوده ومصيره، بردِّها إلى المصادر الأساسية للمعرفة الإسلامية (القرآن والسنة)، والتأصيل لها تأصيلاً منهجيًّا، والاستمداد لها استمدادًا علميًّا، وتنقيتها من الأفكار والتجارب التي ليس فيها مصلحة ثابتة، أو فائدة عائدة على الإنسان والمجتمع.

وبالنسبة لك يا عبد العليم فلتتأمل فيما يلي:

- دعاء النبي ﷺ، حين قال: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا». [الترمذي: ٣٥٩٩، وصححه الألباني].
- وقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة» وذكر منها «علم ينتفع به». [مسلم: ١٦٣١]
- ماذا تفهم من الحديثين؟
- ماذا ينبغي أن يطلب الإنسان من أنواع العلوم؟
- هل لطلب العلم حَدٌّ بحسب ما تفهمه من لفظ (زدني علمًا)؟

بالعودة إلى مثال المدينة الواسعة، فأنت في زيارتك لها لابد أن تختار ما ستزوره من معالمها وما ستؤجل زيارته، وكذلك العلم، قال العلماء شراح الأحاديث: العلم كثير، والعمر قصير، فلا يُطلَب من العلم إلا النافع، والنافع ما يتعلق بأمر الدين، وأمر الدنيا فيما يعود فيها على نفع الدين، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: «العلم أكثر من أن يُحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه» [جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٣٧)]، فدلَّ هذا على أن كل علم مباح يفيد الإنسان في نفسه أو يفيد المسلمين من ورائه، فهو مُرَغَّب في تعلُّمِه، مأجور عليه إن شاء الله تعالى بشرط النية الصالحة، وهو مما يُرجى أن يرفع الله به درجات عبده، مع مراعاة أولويات التعلم.

قال عبد العليم: أفهم من كلامك أن الإسلام يدعوني أن أتعلم العلم الشرعي الذي به أقيم ديني، وأجمع معه ما أستطيعه من العلوم الكونية في ضوء ضرورات وحاجات الأمة؟!

قلت: نعم، ولكن ينبغي ألا يكون طلبك للعلوم عشوائيًّا؛ فلابد لك من منهجية، وقبلها أن تدرك ما آتاك الله من الإمكانات، وتعرف ما لديك من نقاط القوة وما فيك من نقاط الضعف، وبناء على ذلك تأخذ من العلوم ما تستطيع، وما ينفعك ومجتمعك.

وهي طريقة قديمة عند المسلمين في طلب العلوم حين كانوا يقولون: لا يدع طالب العلم نوعًا من العلوم المحمودة إلا وينظر فيه نظرًا يطلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه، وأخذ من البقية أطرافها، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض.

فلتأخذ من كل علم بنصيب، دون نسيان العلوم الأخرى، كما تقول الحكمة: "خذ من كل شيءٍ شيئًا، وخذ من شيءٍ كلَّ شيء"، فيحاول الإنسان أن يأخذ معلومات في كل علم من العلوم، ثم ينظر العلم الذي يجد فيه رغبة وانشراح صدر وهواية وقدرة، فيتشعَّب فيه ويتعمَّق؛ وبهذه الطريقة لا يفوتك إدراكُ علاقات العلوم؛ فتعرف ما هو من دائرة اختصاصك وما هو بعيد عنها، فتعامل كلًّا منها بما يليق، وبهذا تدرك الفرق بين نصيحة الأئمة بمعرفة العلوم المترابطة، وبين التخبط في متاهة المعلومات المتناثرة، فإنهم يقصدون تعلُّمَ قدرٍ نافعٍ منها بشكل منهجيٍّ، لا بشكل فوضوي.

وبناء على ذلك تحسن الموازنة في طلبك للعلم النافع بين الضرورات الأخروية فتقدمها، وتتبعها بالضرورات والحاجات الدنيوية، وتعتني بالكيف قبل الكم.

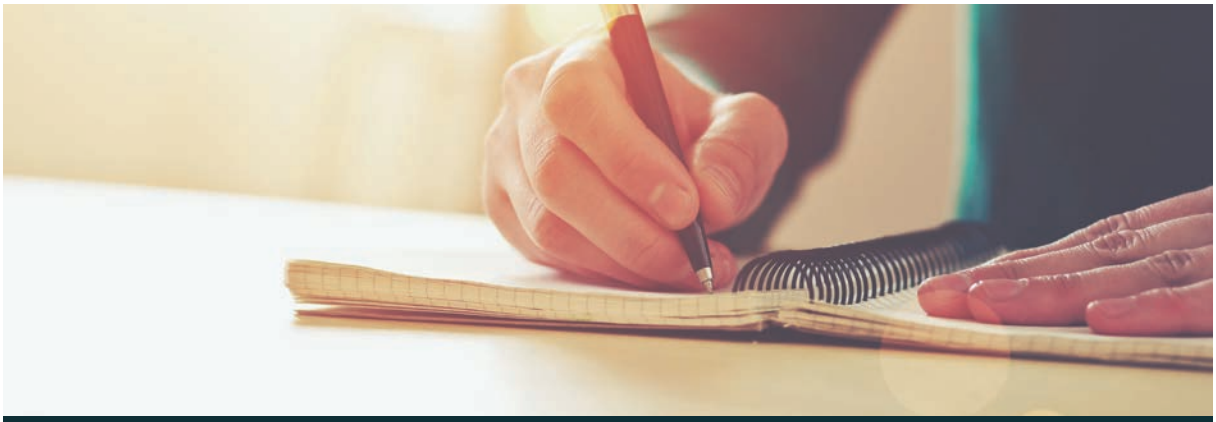

خلاصة

العلوم التي يحث الإسلام عليها تشمل كل علم نافع يهدف لتكوين الإنسان الصالح، ويزيد من الصلة بالله، ويمكنه من القيام بواجبات الخلافة في الأرض؛ سواء كان هذا العلم دينيًّا أو دنيويًّا، مادام أنه في خدمة دين الله ولصالح عباده.

يبدأ المسلم بتعلم ما لا يسعه الجهل به، وما يقيم به شعائر دينه وفروض ربه، ثم بعد ذلك يتعلم ما يتوافق مع قدراته وميوله من العلوم النافعة؛ الدينية والدنيوية، مخلصًا بذلك نيته لله تعالى، يبتغي رضاه وخدمة أمة الإسلام.

العلوم الكونية والدينية تتكامل ولا تتعارض، والدعوة للاقتصار على أحدها دون الآخر خطأ لا ينبغي أن يقع فيه المسلمون، والمسلم يرتب أولوياته بتعلم أمور دينه أولًا وما ينجيه بين يدي ربه، ثم بعد ذلك إما يتخصص في علوم الشرع، أو علوم الكون، أو يجمع بينهما إن كان قادرًا على ذلك.

النظام التعليمي الذي يجعل المعرفة التي يتم تعلمها في مؤسساته مجرَّدة من الأساس الديني والقِيَمي، يكون مصدرًا للإشكال في بناء شخصية الإنسان، بل في إنتاج المعرفة. والنظام التعليمي الإسلامي الذي يكامل بين العلوم الكونية والشرعية لا يقدم معرفة مناسبة للمسلمين فحسب، بل للعالم كله، ويحل إشكالات فلسفة العلم، ونظرية المعرفة عند غير المسلمين.

ملاحظة مهمة

الأصل في العلم الوارد في النصوص الشرعية أنه العلم بالله وبما جاء عن الله، فهو أصل العلم وأساسه، وبه يحصل الفلاح في الدنيا والنجاة في الأخرى.

وإذا ورد ذكر العِلم في الكتاب أو السنة فهو علم الدين، وإن دخل فيه غيره فهو تبع له، لأنه العلم الذي أنزل الله به كتبه، وبعث به رسله، وجعله معيارًا للخير والشر، والحق والباطل، فهو أصح العلوم وأوثقها، وبه يُعرف الله ويعرف مراده من خلقه، وفيه بيان الحقائق الكبرى في الكون، والإجابة على أسئلة الإنسان الوجودية، وهذا لا يعني التهوين من شأن العلوم الأخرى أو التزهيد فيها، بل هي تابعة للعلم الشرعي.

نشاط

قد يكون من المناسب في هذا المقام البحث باستخدام الشابكة عن شخصيات عُرفت بالجمع بين العلوم الكونية والشرعية عبر التاريخ، وفي زماننا الحاضر، ولتكن الأمثلة عن هذه الشخصيات متنوعة من حيث الاختصاصات التي اشتهروا فيها (شريعة وطب، اجتماع وشريعة.. إلخ).

قال ابن باديس -أحد علماء المسلمين في العصر الحديث- حاثًّا على الاهتمام بالعلوم الكونية والاستفادة منها في بناء الإيمان وتطوير العمران: " قد دعانا الله الى العلم ورغَّبَنا فيه في غير ما آية، وأعلمنا أنه خلق لنا ما في السماوات وما في الأرض جميعًا، وأمرنا بالنظر فيما خلقه لنا، وأعلمنا أن في هذه المخلوقات أسرارًا بيَّنها القرآن واشتمل عليها، وكان ذلك من حجته العلمية على الخلق، فكان في هذا ترغيب لنا في التقصي في العلم والتعمق في البحث لنطّلع على كل ما نستطيع الاطلاع عليه من تلك الأسرار، أسرار آيات الأكوان والعمران، وآيات القرآن، فنزداد علمًا وعرفانًا، ونزيد الدين حجة وبرهانًا، ونجني من هذا الكون جلائل ودقائق النّعم، فيعظم شكرنا للرّب الكريم المُنعِم"

نشاط إثرائي

اقرأ النص مرة ثانية ثم اجتهد في إبداء خمس فوائد أو ملحوظات على النص، واستخلص الحكم الذي تراه مناسبًا عليه.

نشاط ختامي

اجتهد في توضيح ما توصلت إليه من دلالة مفاهيم: العلم، والعلم الشرعي، والعلم الكوني وما بينها من علاقة أو تمايز. بإمكانك عقد مقارنة بين ما كتبته في النشاط التمهيدي في بداية الكتاب مع ما ورد في الكتاب، ثم عبِّر عن المفاهيم بأسلوبك وعبارتك.

ناقش

"من الخطأ على المسلمين ترك العلوم الكونية والاقتصار على العلوم الشرعية".. هل هذه المقولة صحيحة أم خاطئة؟

ارجع إلى كتاب «**المنهج السليم في التعامل مع الشبهات**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه منهج معرفة الحقيقة بين العلم والدين .

التقويم

١ علِّل:

١. لا يُتصوَّر وجود تناقض أو تعارض بين علوم الكون والشرع.

.....

.....

٢. يجب التركيز على إيجاد نظام تعليمي ينبثق من روح الإسلام كبديل عن الفكر المتنكِّر لتعاليم الوحي.

.....

.....

٣. كل علم يفيد الإنسان في نفسه أو يفيد المسلمين من ورائه، فهو مرغب في تَعلُّمِه.

.....

.....

٤. ضرورة إعداد وتوجيه مناهج العلوم الكونية إسلاميًّا، وفق النظرة التوحيدية وإعادة التكامل بين الشرعي والكوني.

.....

.....

٥. يدخل العلم الشرعي في المفهوم العام للعلم في الإسلام، وهو الأصل عند إطلاق كلمة العلم في النصوص الشرعية.

.....

.....

٢ أجب بصح أو خطأ وصحِّح الخطأ:

١. ( ) الحضارة الإسلامية قامت على العلوم الدينية فقط.

٢. ( ) يكفي أن أتعلم العلم الكوني وأهمل العلم الشرعي للنجاة يوم القيامة.

٣. ( ) العلم وسيلة التعرف على الله سبحانه وعمارة الأرض.

٤. ( ) يبدأ المسلم بتعلم ما يقيم به شعائر دينه وفروض ربه وأصول معتقده، ثم بعد ذلك يتعلم ما يستطيع من العلوم الكونية بما يتناسب مع قدرته ورغبته.

٣ ماذا نعني بالعلم الشرعي؟

٤ أيهما أفضل برأيك، التخصص بالعلم الكوني أم التخصص بالعلم الشرعي؟

٥ ما العلاقة بين العلم الكوني والعلم الشرعي؟

حكم طلب العلم وفضله

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح الأحكام الشرعية لطلب العلوم عامة والعلوم الشرعية خاصة.
- يتبين أسباب طلب العلوم عند الناس عمومًا والمسلمين خصوصًا.
- يبرز فضائل علوم الشريعة ومكانة أهلها وطلابها في الدنيا والآخرة وفضلهم على غيرهم.

حكم طلب العلم في الإسلام

دارت الأيام وجاء موعد لقاء جديد، ولخَّص عبد العليم ما دار بيننا سابقًا، ووصل إلى سؤال محدد مفاده:

ما حكم طلب العلم في الإسلام؟

فقلت له: دعنا نقرأ أولًا النصوص الآتية:

قال عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» [ابن ماجه: ٢٢٤، وصححه الألباني].

- لماذا قال في الآية الأولى "طائفة منهم" ولم يقل كلهم؟
- هل التفقه في الدين درجة واحدة أم درجات؟
- بحسب ما فهمت من الأدلة السابقة: ما الحكم الفقهي لتعلم العلوم الكونية والشرعية؟ وهل هما سواء من وجهة نظرك؟
- ماذا تفهم من الحديث الشريف؟
- هل كل علم شرعي يجب تعلمه؟

قلت لعبد العليم: بالنظر إلى الآية والحديث نستنبط أن هناك علمًا تَعَلُّمُه

فرض على كل مسلم، ويُسمَّى عند الفقهاء الفرض العيني، وأن هناك علمًا تعلمه فرض على مجموعة من المسلمين لا كل المسلمين، وهو ما يُسمَّى بالفرض الكِفائي.

فتعلُّم العلوم من حيث الحكم الشرعي قسمان:

أ. **علوم تعلمها فرض عين**: أي كل مسلم مطالب بتعلمها، وإذا لم يتعلمها أثم عند الله تعالى؛ وهذه العلوم من العلوم الشرعية الضروريَّة للنجاة يوم القيامة؛ كبعض علوم العقيدة، وأحكام الصلاة وما يلحق بها، وأحكام العبادات الواجبة عليه، وأحكام الحلال والحرام في معاملاته.

ب. **علوم تعلمها فرض كفاية**: هي واجبة على الأمّة، فإذا تخصص فيها عدد كاف من أبنائها سقط الوجوب عن باقي أفرادها، وهذه العلوم التي يحتاجها المسلمون في حياتهم، وتشمل العلوم الشرعية والكونية.

فالتخصص في العلوم الشرعية للإفتاء والإرشاد والدعوة وتعليم الأمّة أحكام الدِّين فرض كفاية، كما قال عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

فقال: (طائفة منهم) ولم يقل كلهم، والآية وإن كانت واردة في علوم الشرع، إلا أننا نفهم منها أن العلوم الأخرى الضرورية للأمة مثلها، فهي فروض كفائية وعلى الأمة إيجاد العدد الكافي من أهل الاختصاص في كل المجالات التي تحتاجها، وإلا إثم كل أبنائها القادرين، وقد عاب الإمام الشافعي رحمه الله -وهو أحد أئمة المسلمين الكبار- على المسلمين في زمانه قلة اشتغالهم بالطب، حيث كان جُلُّ الأطباء من غير المسلمين، فقال كلمته المشهورة يعاتب المسلمين: "ضيَّعوا ثلث العلم -يعني علم الطب- ووكلوه إلى اليهود والنصارى" [سير أعلام النبلاء: (١٠/ ٥٧)].

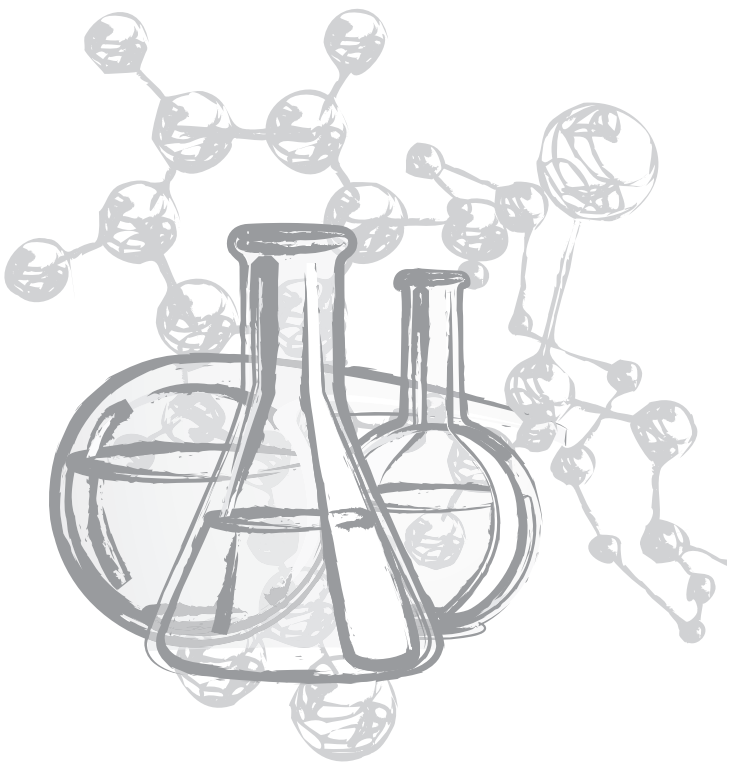

وليست كل العلوم الشرعية فرضًا عينيًّا واجب التعلم على الفور بل هي قسمان:

قسم ضروري لا يسع المسلم أن يجهله، وقسم ليس ضروريًّا له على الفور، وليس من واجب الوقت بالنسبة له بل هو مستحب؛ فمثلًا كل مسلم بالغ عاقل يجب عليه أن يتعلم من أحكام الصلاة ما تصح به صلاته، أما أحكام الزكاة فلا يجب تعلمها على كل أحد؛ وإنما تجب على الغني، فيجب عليه أن يتعلم منها ما يستطيع به أن يؤدي حقَّ الله في ماله، وأما الفقير الذي لا يملك نصاب الزكاة، فليس من واجبه تعلم أحكام الزكاة التفصيلية، ويكفيه أن يعلم أن الزكاة ركن من أركان الإسلام وتجب على المسلم بشروط، ومثل ذلك من سقط عنه الحج لعجز أو فقر، فلا يجب عليه تعلم أحكام الحج التفصيلية، بل يكفيه أن يعلم أن الحج ركن من أركان الإسلام ويجب على المسلم بشروط، وتعلُّم هذه المسائل بالنسبة له يكون مستحبًا في هذه الحالة.

وكذلك المرأة قبل الحيض، فإنه لا يجب عليها أن تتعلم أحكام الحيض، لكن إذا حاضت وجب عليها أن تتعلمها؛ لأنها لن تقيم العبادة إلا بذلك، ومثله من أراد أن يسافر، فيجب عليه أن يتعلم متى يكون سفره سفرًا تقصر به الصلاة، ومتى يجمع الصلاة، وغير ذلك من الأحكام التي تلزمه في السفر.

فبعض المسائل يكون تعلمها مستحبًّا في وقت وحال، وواجبًا في وقت وحال آخر، قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: "لو أن رجلًا ليس له مال لم يكن عليه واجبًا أن يتعلم الزكاة، فإذا كان له مائتا درهم وجب عليه أن يتعلم كم يخرج، ومتى يخرج، وأين يضع، وسائر الأشياء على هذا" [الفقيه والمتفقه: ١/ ١٧٣].

حكم الوجوب العيني يتعلق بالمسلم المكلَّف، فإن كان صغيرًا فعلى والديه تعليمه أمور دينه التي يحتاجها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦]، **وقال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»** [البخاري: ٢٥٥٤، ومسلم ١٨٢٩]، **فعلى الوالدَين المسلمَين تعليم أولادهما ما يحتاجونه من أمور الدين ومن الآداب الإسلامية.**

ارجع إلى كتاب «**الانتماء للإسلام - واجبات وحقوق**» من هذه السلسلة، وتعرَّف على واجبات المسلم تجاه دينه.

قاعدة

"كل ما وجب عمله وجب علمه"

لما سئل الإمام مالك عن طلب العلم قال: "كله خير، ولكن انظر إلى ما تحتاجه في يومك وليلتك فاطلبه".

ويعني بذلك: أنك لا تحقق عبادة الله إلا إذا تحصلت على العلم اللازم لأداء ما أوجبه الله عليك في يومك وليلتك، فوجب عليك تعلمه، فتعرف كيف تتوضأ وكيف تصلي وكيف تغتسل، وكيف تؤدي الزكاة إذا كان لك مال، وكيف تحج إذا أردت الحج، وأحكام النكاح إذا أردت أن تتزوج، وأحكام الطلاق إذا أردت أن تطلق، وأحكام البيع لو كنت تاجرًا، ونحو ذلك من الأمور بحسب احتياجك.

العلم الشرعي

علم، تعلمه واجب (فرض) عيني؛ وهو ما طلب الشارع تعلمه من كل فرد من أفراد المكلَّفين طلبًا جازمًا. ويترتب على تعلمه الثواب وعلى ترك تعلمه العقاب.

علم، تعلمه واجب (فرض) كفائي؛ وهو ما طلب الشارع تعلمه من مجموع المكلَّفين، ولم يطلبه من كل واحد منهم، فإن قام بتعلمه العدد الذي يكفي سقط عن الباقين، وإلا أثموا جميعًا.

مثال ذلك: تعلم أحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الأخلاق.... إلخ

مثال ذلك: تعلم العلوم النافعة، وتعلم أحكام الجهاد في سبيل الله، وتعلم أحكام غسل الميت والصلاة عليه ودفنه..إلخ.

قسم ضروري هو واجب الوقت ولا يسع المسلم أن يجهله
كتعلم كيفية الصلاة

قسم ليس ضروريًا، وليس من واجب الوقت بالنسبة للمسلم
كتعلم مقدار الزكاة واحكامها التفصيلية بالنسبة لمن لم يملك نصاب الزكاة الواجبة

تذكّر

١. على المسلم أن يتعلم فرض عينه من أجل تصحيح عقيدته وعباداته ومعاملاته وتقويم سلوكه وأفكاره، وَفق منهج رباني معزَّز بالأدلة، فإذا تعلم الفرض العيني، فله بعد ذلك أن يتعلم ويتوسع في تعلم الأمور الشرعية أو الدنيوية، بما يسد به ثغرة من ثغرات المجتمع والأمّة، وهو مأجور على تعلمه وسعيه هذا، سواء أكان في أمور الدين أم في أمور الدنيا، إذا أخلص النية لله وقصد بذلك وجهه تعالى. وكلما تخصَّص المرء في علم وأتقنه، كان ذلك أدعى إلى أن يبدع فيه ويكفي غيره منه، ولهذا قيل: (قيمة كل امرئ ما يحسن)، وهكذا يصير عندنا في المجتمع الإسلامي عالِم بالشرع متخصص فيه، وطبيب مؤمن يخشى الله تعالى ويراقبه في معاملاته وفحوصاته المرضية، وسياسي يسهر على حفظ الدول والمجتمعات الإسلامية، ويضمن حقوق المسلمين ويلبي حاجاتهم، وقاضٍ يحكم بالحق ويأخذ على يد الظالم المعتدي، وقل مثل هذا في باقي المهن والصنائع والتخصصات.

٢. إن التّزهيد في العلوم الشرعية أو العلوم الكونية، خطر كبير على الأمة الإسلامية ووجودها، وهو تضليل عن الحق، وصدٌّ عن سبيل الله.

نشاط إثرائي

للفروض الكفائية أمثلة كثيرة، اكتب مقالة عن أهم العلوم التي يتوجب على بعض المسلمين التخصص بها من وجهة نظرك في بلدك، وناقش المقالة مع أصدقائك المسلمين، ثم طوروا قائمة بفروض الكفاية في العلوم التي يحتاجها مجتمعك.

لماذا يتعلم الناس؟

التقينا مجددًا على مائدة العلم والحوار، وبعد السلام بادرني عبد العليم بحماسة طالب العلم قائلًا: وصلنا لسؤال جوهري من الأسئلة التي طرحتها عليّ في البدايات، لماذا نتعلم؟

قلت: تأمَّل في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل ٧٨]

- هل يولد الإنسان عالمًا أم جاهلًا؟
- ما الذي يرفع عنه الجهل؟
- ما أدوات رفع الجهل واكتساب العلم التي أودعها الله في الإنسان وذكرتها الآية؟

الناس عامة يتعلمون لأن في فطرتهم حبًّا للتعلم والمعرفة، وحبًّا لتسهيل وتحسين حياتهم، وقد زرع الله في نفوسهم فضولًا للتعرف على الأشياء، ولولا هذا الفضول وهذا الحافز النفسي للمعرفة لما اكُتشِفَتْ حقائق الكون وقوانينه، ولولا التعلّم ما أصبحت حياة الناس أفضل وأحسن عبر الزمن، و من كمال عقل الإنسان ورجاحته تطلعه إلى المعرفة والاطلاع، واكتساب المزيد من الخبرات والمهارات المُعينة له على ممارسة حياته وتنمية فكره، ولولا العلم والتعلم لما كان الإنسان إنسانًا يلبي حاجته وفضوله الغريزي الإنساني، ويطور من حياته للأفضل في شتى المجالات.

قال تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل: ٢٥].

تشويق القرآن إلى علوم الأكوان:

من أساليب الهداية القرآنية إلى العلوم الكونية، أن يعرض علينا القرآن صورًا من العالم العلوي والسفلي في بيان بديع جذاب يشوقنا الى التأمل فيها والتعمق في أسرارها، وهنا يذكر لنا ما خبأه الله في السماوات والأرض لنشتاق إليه، وننبعث في البحث عنه واستجلاء حقائقه ومنافعه بدافع غريزة حب الاستطلاع ومعرفة المجهول، وبمثل هذا انبعث المسلمون في خدمة العلم واستثمار ما في الكون الى أقصى ما استطاعوا، ومهدوا بذلك السبيل لمن جاء بعدهم من الأمم، ولن نعز عزهم إلا إذا فهمنا وخدمنا العلم خدمتهم.

[ابن باديس، أحد علماء المسلمين في تفسيره].

اقرأ النص مرة ثانية ثم اجتهد في إبداء خمس ملحوظات على النص واستخلص الحكم الذي تراه مناسبًا.

لماذا يتعلم المسلمون؟

استدرك عبد العليم قائلًا: فماذا عن المسلمين؟ لماذا يتعلمون؟

قلت: المسلمون بشر من البشر، عندهم ذات الفطرة الباحثة عن المعرفة وحقائق الأشياء، ولديهم الرغبة ذاتها في تحسين الحياة بشكل عام، لكنهم يمتازون بدين اعتنى بالعلم أبلغ عناية؛ بيانًا لشرفه، وتعظيمًا لقدره وقدر أهله، وتوضيحًا لأنواعه ومصادره، وتوضيحًا لآثاره في الدنيا والآخرة، وإشادة بتعلمه وطلبه، وترهيبًا من القعود عنه؛ إما مباشرة، أو بعدم سؤال أهله.

وللعلم حيز كبير في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، لذلك دعنا نقرأ هذه النصوص ونستنبط منها أسباب تعلم المسلمين وغاياتهم من طلب العلم، ونذكر نتيجة ما توصلنا إليه:

- قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق ١].
- وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].
- وقال تعالى مخاطبًا موسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾ [يونس: ٨٩].
- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطْحَان، أو إلى الْعَقِيقِ، فيأتي منه بناقتين كَوْمَاوَيْنِ في غير إثم، ولا قطع رحم؟»، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن

أعدادهن من الإبل» [رواه مسلم:٨٠٣].

[(الصفة) موضع مظلل من المسجد الشريف كان فقراء المهاجرين يأوون إليه، (بطحان) اسم موضع بقرب المدينة، (العقيق) واد بالمدينة، (كوماوين) الكوماء من الإبل العظيمة السنام].

- وجاء رجل من مُرَادٍ إلى رسول الله ﷺ يقال له صفوان بن عَسَّالٍ وهو في المسجد، فقال له رسول الله صلى لله عليه وسلم: «ما جاء بك؟» قال: ابتغاء العلم، قال: «فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رِضًى بما يصنع». [رواه الحاكم في المستدرك: ٣٤١].
- وجاء في بعض الآثار: "اغد عالمًا، أو متعلِّمًا، أو مستمعًا، أو محبًّا، ولا تكن الخامس فتهلك" [جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ١٥١]، قال ابن عبد البر: الخامسة التي فيها الهلاك معاداة العلماء وبغضهم، ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب ذلك وفيه الهلاك، والله أعلم.

١. ماذا تفهم من النصوص السابقة؟
٢. بماذا أمر الله في أول الآية الأولى؟ وهي أول كلمة نزلت في الإسلام.
٣. بماذا أمر الله في الآية الثانية؟
٤. ما السبيل الذي نهى الله نبييه موسى وهارون عليهما السلام عن سلوكه في الآية الثالثة؟
٥. بماذا أمر النبي ﷺ أصحابه؟
٦. ما الذي جاء بصفوان بن عسال إلى رسول الله ﷺ؟ ما غايته؟ هل وافقه النبي ﷺ وشجعه؟ لماذا فعل النبي ﷺ ذلك برأيك؟

النتيجة

نتيجة أولى:

المسلمون يمتثلون أوامر الله سبحانه في كتابه القرآن الكريم، حين أمرهم بالتعلم وسلوك طريق العلم ونهاهم عن طريق الجاهلين.

نتيجة ثانية:

يتعلم المسلم العلم؛ امتثالًا لأمر النبي ﷺ، الذي حض المسلم على العلم ودراسة القرآن وفرائض الدين، ورغبة في تحصيل الأجر الذي تحدث عنه ﷺ.

المسلم يتعلم العلم؛ لأن الله تعالى يحبه ويرضاه، فهو عبادة جليلة من أجلِّ العبادات، يرفع الله أصحابها في أعلى الدرجات، ويثيبهم الثواب الذي وصفه النبي ﷺ.

فضل علوم الشريعة ومكانة طلابها

كان عبد العليم يستمع ويفكِّر وعلى وجهه دلالات الرضا والسرور والافتخار، فقد وجد في طلب العلم في الإسلام ما يوافق فطرته الباحثة عن المعرفة واكتشاف كل غامض، وزاد سروره أنه في بحثه عن المعرفة سيأخذ أجرًا وثوابًا من خالق الأكوان؛ لأنه يمتثل أمر ربه ويتبع تعاليم نبيه بالبحث والتعلم، فتساءل عن مكانة العلم الشرعي في الإسلام، وعن أجر طالب العلم، ومكانة العالم بالله وبدينه، ولم يُخفِ عجبه من جوابي أن طلب العلوم الشرعية يُعدُّ عبادة عظيمة الأجر، وأنها السبيل الموصلة للجنة، وكان مما قلته له:

إن فضائل علوم الشريعة ومكانة أهلها وطلابها في الدنيا والآخرة عالية كبيرة جليلة في دين الإسلام؛ وإن الصفحات الطوال تضيق عن إيراد الأدلة والنصوص التي تبين فضل العلوم الشرعية وطلابها، بل قد أفرد العلماء القدامى والمحدِّثون مؤلفات في فضل العالم والمتعلم وآدابهما.

(العلم لا يَعدله شيء لِمن صحَّت نيَّتُه) أحمد بن حنبل، أحد أئمة المسلمين الكبار.

اقرأ النصين التاليين وتفكَّر فيهما:

- قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمَر: ٩].

- وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سَهَّلَ الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رِضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دِينَارًا ولا دِرْهَمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» [رواه ابن ماجه: ٢٢٣، وصححه الألباني].

١. ماذا تفهم من النصين السابقين؟

٢. في الآية الأولى: هل يستوي العالِم وغير العالِم؟ ماذا تفهم من ذكر الله لهذه الحقيقة؟ لماذا ختم الله الآية بقوله إنما يتذكر أولو الألباب؟ من هو العالِم المشار إليه في الآية؟ ما صفاته كما جاءت في الآية؟

٣. ما الأجر المترتب على طلب العلم كما ورد في الحديث؟

٤. ما فضل العالِم على العابد؟ ولماذا له هذا الفضل الكبير؟

مـا سـبق مـن الآيـة والحديـث يـدل علـى فضـل العلـم والعمـل بـه، ومـا للعلمـاء العامليـن مـن مكانـة عاليـة، ويخبـر عـن الفـرق بينهـم وبـين الجُهَّـال، فالعلمـاء هـم ورثـة الأنبيـاء، لأن العالِـم هـو الـذي ينـوّر للنـاس وللعابديـن طريقهـم إلـى اللّه سـبحانه وتعالـى، وهـو الـذي يحذرهـم مـن مكائـد الشـيطان ومكـره، وتبيـان الطريـق الصحيـح منـوط بأهـل العلـم، لهـذا تميـز العالِـم عـن العابـد بهـذا المعيـار.

واللّه تعالـى جعـل العلمـاء مـن أولـي الأمـر الذيـن تجـب طاعتهـم والرجـوع إليهـم، قـال اللّه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النسـاء: ٥٩]، جـاء عـن كثيـر مـن أهـل العلـم أن المقصـود بأولـي الأمـر هنـا العلمـاء الفقهـاء، واللّه تعالـى قـال: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النسـاء: ٨٣]، وقـال: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ [الأنبيـاء: ٧]، فأوجـب علينـا الرجـوع إليهـم والأخـذ بأقوالهـم الصـادرة عـن علمهـم.

ليـس هـذا وحسـب، بـل أخبـر اللّه أن الذيـن يخشـونه حقًّـا هـم العلمـاء، فقـال: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطـر: ٢٨]، وقـرن شـهادتهم بشـهادته وشـهادة ملائكتـه علـى أعظـم حقيقـة وهـي التوحيـد، فقـال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمـران: ١٨].

ويكفيـك في معرفـة فضـل صاحـب العلـم أنـه يؤجـر وهـو جالـس في مكانـه بعلمـه وتفكيـره في العمـل بهـذا العلـم؛ كمـا قـال ﷺ: «ثـلاث أقسـم عليهـن، وأحدثكـم حديثًـا فاحفظـوه: إنمـا الدنيـا لأربعـة نفـر؛ عبـد رزقـه اللّه مـالًا وعلمًـا فهـو يتقـي فيـه ربـه ويصـل فيـه رحمـه ويعلـم للّه فيـه حقًـا، فهـذا بأفضـل المنـازل، وعبـد رزقـه اللّه علمًـا ولـم يرزقـه مـالًا فهـو صـادق النيـة يقـول: لـو أن لـي مـالًا لعملـت بعمـل فـلان فهـو بنيّتـه فأجرهمـا سـواء» [رواه الترمـذي: ٢٣٢٥، وقـال: حديـث حسـن صحيـح].

فتأمَّـل كيـف أوصـل العلـم الرجـل الأول لاسـتعمال المـال في طاعـة اللّه فصـار بأفضـل المنـازل، وتأمَّـل كيـف أوصـل العلـم الثانـي -وهـو فقيـر ليـس عنـده شـيء- إلـى منزلـة يؤجـر عليهـا بأجـر الأول دون أن يتصـدق بشـي مـن المـال، لكنـه أخـذ أجـر النيـة المتأتيـة مـن التفكيـر النـاتج مـن العلـم المخـزون بـين جوانحـه.

والمقصود بالعالِم في كل ما سبق العالِم الرباني العامل بعلمه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩]، فالعالِم إذا لم يعمل بعلمه ولم يوصله علمه إلى الله وإلى عبادة الله، لا يكون داخلًا في دائرة الفضل والتفضيل فيما أوردناه آنفًا.

قلت لعبد العليم: كفى بما سبق شرفًا، وكفى بهذه الرتبة أجرًا عظيمًا لمن صار من أهل العلم بل من طلابه، وإذا أراد الله بك خيرًا يا عبد العليم فسيفقهك في الدين، كما قال الرسول ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» [رواه البخاري: ٧١، ومسلم: ١٠٣٧]، فحينها تنال بشارة النبي ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله به طريقًا إلى الجنة» [رواه مسلم، ٤٨٦٧]، وهذه هي غاية الغايات ومنتهى الإرادات.

فالإنسان يكون خاسرًا إذا ترك العلم، أو ترك طلب العلم بعد الفضل السابق كله.

قال عبد العليم: أرغب بطلب العلم رغبة كبيرة، لكنني أخشى من بعض العوائق التي قد تعترض طريقي.

قلت له: طلب العلم فيه بذل للجهد والوقت، ويحتاج إلى رغبة داخلية وإرادة جازمة، ولا تأتي هذه الإرادة إلا بمحرِّكات لها، وأهمها الإيمان، ومعرفة فضل العلم، وثواب العلماء، ومعرفة درجاتهم عند الله عز وجل، والمسلم يطلب العلم الشرعي، ويحرِّك نفسه لتعلمه وتعليمه، ويتفكر ويقول في نفسه:

إن الله أمرني بالعبادات والطاعات، ولا أقدر على أدائها إلا بالعلم.

ونهاني عن المعاصي والآثام، ولا أقدر على اجتنابها إلا بعد معرفة قبحها، وسوء عاقبتها، ولا يتم ذلك إلا بالعلم.

وإن الله عز وجل أوجب علي شكر نعمه الظاهرة والباطنة، ولا أقدر على معرفتها، وطاعة الله فيها، إلا بالعلم.

وأمرني سبحانه بإنصاف الخلق، ولا أقدر على إنصافهم إلا بعد معرفة حقوقهم، وما يجب لهم، ولا يتم ذلك إلا بالعلم.

وأمرني سبحانه بالصبر على بلائه، ولا أقدر على ذلك إلا بعد معرفة ثواب الصبر، وحسن عاقبته، ولا يتم ذلك إلا بالعلم.

وأمرني سبحانه بعداوة الشيطان وأتباعه، ولا أقدر على ذلك إلا بعد معرفة كيده وخطواته، ولا يتم ذلك إلا بالعلم... وهكذا، فيكون هذا من أعظم الدوافع لطلب العلم.

إثراء

إذا أردت معرفة أهمية العلم وفضله ورتبته وفضل ورتبة المشتغلين به، فتأمل معي هذه العبارات التي قالها أحد الصحابة:

"تعلموا العلم، فإنَّ تعلمه حسنة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو منار سبيل أهل الجنة، والأنس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل في الظلمة، والمحدِّث في الخلوة، والسِّنان على الأعداء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة، وفي الهدى أئمة يقتدى بهم، وترمق أعمالهم، وترغب إليهم الملائكة بأجنحتها، وكل رطب ويابس يستغفر لهم، حتى حيتان البحر وهوام الأرض وسباع الرمل ونجوم السماء، ألا إن العلم حياة القلوب من العمى، ونور البصر من الظُلَم، به يطاع الله، وبه يعبد، وبه يحمد الله، وبه يُوحَّد، وبه توصل الأرحام، ويُعرف الحلال من الحرام، هو أمام العقل، وهو إمام العقل، والعمل تابعه، يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء، ولا خير في عبادة بغير تفقه، ولا خير في قراءة بغير تدبر" [ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله:١/ ٥٤-٥٥،و كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي: ١/ ١٠٠، وأخلاق العلماء، للآجري: ٣٤ – ٣٥].

تذكّر

نتعلم لأن طلب العلم ضرورة بشرية وفريضة شرعية، فلا يكون الإنسان إنسانًا إلا بالعلم، ولا يكون المسلم مسلمًا إلا بالعلم.

العلم لا يعدله شيء.

لا يستوي من يتعلم أو كان عالمًا مع غير المتعلم والجاهل.

طلب العلم من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

العلم الشرعي نور يستضيء به العبد؛ فبه يعرف كيف يعبد ربه، وكيف يعامل عباده، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة.

علماء الشريعة هم ورثة النبي ﷺ.

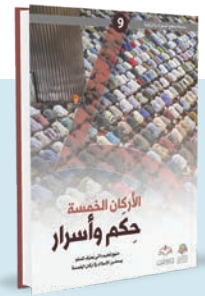

ارجع إلى كتاب «**الأركان الخمسة حكم وأسرار**» من هذه السلسلة ، واقرأ بعضًا من محاسن الإسلام في أركانه الخمسة الجليلة.

١. ابحث في القرآن الكريم عن المعاني التالية:

- العلم نعمة ورحمة من الله ومنّة منه سبحانه، من مفاتيح الجواب: [الكهف: ٦٥] و[آل عمران: ١٦٤].
- العلم مجلبة للثناء، من مفاتيح الجواب: [الأنبياء: ٧٨-٧٩].
- العلم يعطيك القوة وهو المرشِّح للسيادة، من مفاتيح الجواب: [البقرة: ٣٠- ٣١]، و[البقرة: ٢٤٧].
- العلم يجعلك تعقل الأمور، وتبصر الحقائق، من مفاتيح الجواب: [العنكبوت: ٤٣].
- الأنبياء سافروا لطلب العلم، من مفاتيح الجواب: [الكهف: ٦٠].
- العلم يُكسب الخشية، من مفاتيح الجواب: [فاطر: ٢٨].
- العلم يؤهلك لشهود الحق، من مفاتيح الجواب: [آل عمران: ١٨] و [سبأ: ٦].
- العلم مؤهِّل للاتباع والرئاسة، من مفاتيح الجواب: [النحل: ٤٣]، [يوسف: ٥٥].

نشاط إثرائي

٢. اجمع آيات غير التي وردت في الكتاب تحثُّ على طلب العلم واقرأ في تفسيرها وسجِّل الأجر أو الفضل الذي ذكرته.

٣. ابحث عن أحاديث غير التي وردت في الكتاب تحثُّ على طلب العلم، واقرأ في شرحها وسجِّل الأجر المترتب على طلب العلم.

التقويم

١ أجب بصح أو خطأ وصحِّح الخطأ:

١. ( ) هذا الدين يقوم على قاعدتين هما: لا نعبد إلا الله، ولا نعبد الله إلا بما شرع؛ وتحقيق عبادة الله بما شرع لا تكون إلا بطلب العلم الذي نحتاجه لنقوم بهذه العبادة التي فرضها الله علينا والتي خلقنا من أجلها.

.....

.....

٢. ( ) على طالب العلم أن يقدم تحصيل ما يجب عليه على ما يُستحب، واشتغاله بالمستحبات وإضاعة الواجبات هو من زيوف طلب العلم وعوائقه.

.....

.....

٣. ( ) أمثلة الفرض الكفائي: معرفة الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته إجمالاً، ومعرفة نبيه محمد ﷺ، ووجوب اتباعه في كل ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن شريعته ناسخة لغيرها وغير ذلك.

.....

.....

٤. ( ) دراسة علوم اللغة العربية والبلاغة وأصول الفقه ومصطلح الحديث وعلوم القرآن يطلب منها ما يحقق المقصود الأصلي، وهو القيام بعبادة الله تعالى التي خلقنا من أجلها، فيكفي كل المسلمين من ذلك ما يحتاجونه لفهم القرآن والسنة، والقيام بما أوجبه الله عليهم من عبادته.

.....

.....

٢ اشرح قاعدة "ما وجب عمله وجب تعلمه" بأمثلة من عندك.

٣ املأ الجدول بأرقام ما يناسبه من الجمل الآتية:

١. هو تعلم المكلَّف ما لا يؤَّدى الواجب الذي تعيَّن عليه فعله إلا به.

٢. هو تعلم العلوم التي لا بد للناس منها في إقامة دينهم ودنياهم.

٣. تعلم كيفية الوضوء/٤. تعلم كيفية الصلاة/٥. تعلم أحكام البيع والشراء لمن يبيع ويشتري/٦. تعلم أحكام النكاح والطلاق/٧. معرفة أمراض القلب وعلاجها كالحسد، والعجب/٨. حفظ القرآن كاملًا والأحاديث الشريفة/٩. علم الفقه /١٠. علم اللغة /١١. الطب والرياضيات والفيزياء/١٢. الصنائع التي هي سبب قيام مصالح الدنيا كعلم الهندسة والزراعة والصناعة.

تعريف الفرض العيني في طلب العلم	تعريف الفرض الكفائي في طلب العلم	أمثلة عن الفرض العيني	أمثلة عن الفرض الكفائي

٤ علِّل:

١. العلم موجب للخشية.

٢. العلم موجب للاتباع.

٣. العالِم أفضل من العابد.

٤. العلم لا يعدله شيء.

٥ أجب:

١. لماذا يطلب الناس العلوم بأنواعها؟

٢. لماذا يطلب المسلمون العلوم بأنواعها، ومنها العلم الشرعي؟

٣. عدِّد خمسًا من فضائل طلب العلم.

٤. اشرح مكانة العالِم في الإسلام.

أولويات التعلم

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يرتب الأولويات في التعلم الشرعي ابتداءً من ضرورة إقامة دينه على عقيدة سليمة.
- يتوصل لمعرفة نواقض الإيمان الاعتقادية والقولية والفعلية.
- يتوصل لقرار في اختيار العلوم الشرعية التي سيدرسها والتي سيؤجلها أو يتركها.

ما لا يَسَعُ المسلمَ جهلُه

قال عبد العليم: قد فهمت معنى الفرض العيني والكفائي، ولا زلت بحاجة لمزيد إيضاح لفكرة ما لا يسعني جهله، والعلوم الضرورية التي ينبغي أن أبدأ بها، وأريد بيانًا بالعلوم الشرعية المهمة.

قلت: بالعودة لمثالنا الأول في تشبيه العلم بالمدينة الجميلة الكبيرة التي ستزورها لكن وقتك فيها محدد، ألا ينبغي عليك أن تعرف أجمل معالمها التي لا ينبغي أن تفوتك؟ وأهم أسواقها التي ستفيدك زيارتها؟ وبناء على ذلك ترتب زيارتك وفق الأهم فالمهم، بحسب ما يتسع له وقتك ويحقق غايتك؟

كذلك مدينة العلم، فلا شك أن علوم الشريعة كلَّها مهمة لانتظام حياة الإنسانية وسيرها على طريق هداية الأنبياء، الذين جاؤوا لصلاح دنيا الناس وآخرتهم، لكنها متفاوتة في الأهمية، ولذا ينبغي ترتيب أولويات ما تتعلم، والبدء على مستوى فرض العين؛ لأن التفريط في تعلمه خطير، وذلك بمعرفة العقيدة السليمة، وترسيخ الإيمان الصحيح، ومعرفة نواقض الإيمان، وما يتوجب عليك تعلمه من أحكام الفقه والعبادات وأخلاق النفس والمعاملة، وهذا ما نتعلمه من حديث جبريل عليه السلام:

تأمَّل ثم أجب:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن عندَ رسولِ اللهِ ﷺ إذ طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب، شديدُ سوادِ الشَّعَرِ، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يعرفُه منا أحد، حتى جلسَ إلى النبيِّ ﷺ فأسندَ ركبتيه إلى ركبتيه، ووضَعَ كفيه على فَخِذَيْه، وقال: يا محمدُ، أخبرني عن الإسلامِ. فقال

رسولُ اللهِ ﷺ: الإسلامُ أن تَشْهَدَ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وأن محمّدا رسولُ اللّه، وتُقيمَ الصلاةَ، وتُؤْتِيَ الزكاةَ، وتَصومَ رمضانَ، وتَحُجَّ البيتَ إن استطعْتَ إليه سبيلًا. قال: صدقْتَ. قال: فعجِبْنا له يَسْأَلُه ويُصَدِّقُه. قال: فأخبِرْني عن الإيمانِ. قال: أن تُؤْمِنَ باللّهِ، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، وتؤمنَ بالقدرِ خيرِه وشرِّه. قال: صَدَقْتَ. قال: فأخبِرْني عن الإحسانِ. قال: أن تَعْبُدَ اللّهَ كأنك تراه، فإن لم تَكُنْ تراه فإنه يراك. قال: فأخبِرْني عن الساعةِ. قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائلِ. قال: فأخبِرْني عن أَماراتِها. قال: أن تَلِدَ الأَمةُ ربَّتَها، وأن ترى الحُفَاةَ العُراةَ العالةَ رعاءَ الشاءِ يَتَطاولون في البُنْيانِ. قال: ثم انطلَقَ، فلبِثْتُ مليًّا، ثم قال: يا عمرُ، هل تدري مَن السائلُ؟ قلْتُ: اللّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: فإنه جبريلُ أتاكم يُعَلِّمُكم دينَكم». [أخرجه مسلم:٨].

- ما الفكرة العامة للحديث؟
- عن ماذا سأل جبريل؟ ما هي المواضيع التي استفسر عنها؟
- ما أهمية الإجابة على تلك الأسئلة من وجهة نظرك؟
- ماذا تفهم من قول رسول الله ﷺ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»؟

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام، وهو حديث عظيم القدر، كبير الشأن، جامع لأبواب الدين كله بأبسط أسلوب، وأوضح عبارة، وقد سمَّاه بعض العلماء بحديث "أمّ السُّنَّة" كما كانت الفاتحة "أم القرآن"؛ لأن جميع ما في السنة يمكن أن يرجع إلى ما في هذا الحديث، ولا نجد وصفًا جامعًا لهذا الحديث أفضل من قوله ﷺ: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)، فجميع علوم الشريعة راجعة لهذا الحديث ومتشعبة عنه، وقد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة؛ من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال.

وقد تناول الحديث مراتب الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، وهذه المراتب عظيمة جدًّا؛ لأن الله سبحانه وتعالى علَّق عليها السعادة والشقاء في الدنيا والآخرة، وبين هذه المراتب ارتباط وثيق، وهي أول ما يجب على المسلم تعلمه من أمور دينه.

وهذا الحديث الجليل يضع منهجًا علميًّا ومنهجًا تعليميًّا لمن أراد العلم والتعلُّم.

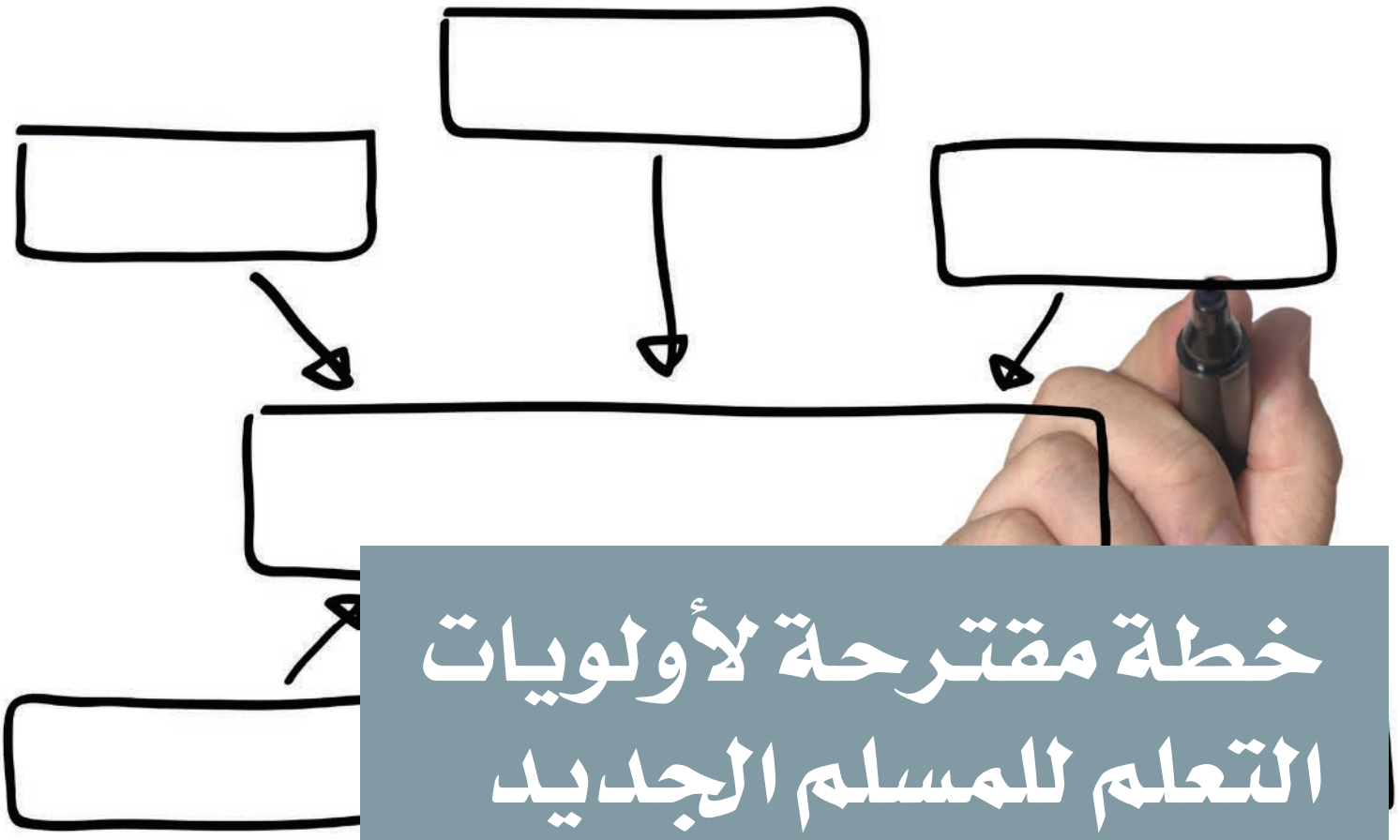

خطة مقترحة لأولويات التعلم للمسلم الجديد

قال عبد العليم: هل يمكن أن تقترح عليّ برنامجًا أو خطة للتعلم على ضوء هذا الحديث الشريف؟

قلت: أبشر، وهاك خطة مقترحة لما طلبت:

١. بما أنك نطقت الشهادتين لا بد أن تبدأ بتعلم معناهما؛ لأنهما مفتاح الإسلام وخلاصته، فتتعلم التوحيد امتثالًا لأمر الله حين قال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، حتى يتعلق قلبك بالله عز وجل، وتعلم أن العبودية المطلقة لله عز وجل وإسلام الوجه له تعني الانقياد لطاعته، والتخلص من جميع قيود الهوى والشهوات.

ومن الكتب المفيدة في شرح هذه المعاني كتاب: "الأركان الخمسة حِكَم وأسرار" من هذه السلسلة.

ثم تتعلم شيئًا موجزًا عن أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ حتى تقيم تصوراتك عن الله ورسوله والغيب كما هي في الكتاب والسنة.

ومن الكتب المفيدة في شرح هذه المعاني كتاب: "الأركان الخمسة"، و"لماذا أنا مسلم؟" من هذه السلسلة.

٢. ومن الأهمية بمكان أن تتعلم نواقض الإيمان الاعتقادية والقولية والفعلية لتتجنبها:

- نواقض الإيمان بالاعتقاد: كالتكذيب أو الشك في شيء من أركان الإسلام الخمسة، أو أركان الإيمان الستة، أو ما عُلِم من دين الإسلام بالضرورة، واستحلال أي شيء من المحرمات وإن لم يفعلها هذا المستَحِلُّ.
- نواقض الإيمان بالقول: كسَبِّ الله تعالى، أو نسبة النقص إليه -جل وعلا- أو الاستهزاء به، أو بكلامه وكتابه، أو سبِّ الرسول ﷺ أو أحد الرسل - عليهم السلام - أو سبِّ الملائكة، أو سبِّ دين الإسلام، أو دعاء الأولياء والصالحين أو أي مخلوق، والاستغاثة بهم عند الكرب والشدة، وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وكذلك الاستعاذة بهم.
- نواقض الإيمان بالفعل: بصرف أي عبادة من العبادات لغير الله جل وعلا؛ كالنذر لغير الله سبحانه، أو الذبح لغيره تعالى. ومن الأفعال أيضًا: الاستهانة بالمصحف الشريف، أو إلقاؤه في القاذورات، وتعظيم أي شيء من شعائر الكفار؛ كالصليب، أو أي شيء خاص بشعائر غير المسلمين الدينية؛ عالمًا، عامدًا، راضيًا بذلك.

فتتعرف على الاعتقاد والقول والفعل الذي ينتفي به إيمان العبد ويزول، ويخرجه من دائرة الإسلام والإيمان إلى دائرة الكفر والعياذ بالله؛ لأن في هذا الهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومن الكتب المفيدة في معرفة بطلان أهم المعتقدات المنتشرة في زماننا كتاب "لماذا أنا مسلم؟" من هذه السلسلة، مع قراءة كتاب في العقيدة يتحدث عن نواقض الإسلام.

٣. وعليك بالتوجه إلى كتاب الله تعالى، فتبدأ بحفظ سورة الفاتحة وقصار السور مع شرح معناها لتقرأها في صلاتك.

وتجعل لك وردًا من تلاوة القرآن الكريم مع التدبُّر والتفكُّر في معانيه، امتثالًا لأمر الله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل:٤]، فهو نور وهدى أنزله الله للناس، يشرح به صدورهم، ويثبت به نفوسهم، وفيه إجابة على كل أسئلتك الإيمانية، وهو بركة كله، وخير وأجر عظيم كله، وله من الأثر في النفوس والقلوب ما يدركه كل من قرأه.

قال الله عز وجل: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦].

فينبغي أن تحفظ شيئًا من آيات القرآن الكريم وتتعلم شيئًا من إجابته على أهم أسئلة الناس، وخصوصًا ما يخطر على بالك أنت، أو يطرح حولك في مجتمعك.

ومن الكتب المفيدة في الإجابة على هذه الأسئلة كتاب: "أنت تسأل والقرآن يجيب" من هذه السلسلة.

٤. وعليك بتعلم أركان الإسلام الخمسة: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

فتبدأ بتعلم أحكام الطهارة والنجاسة، والوضوء ونواقضه، وموجبات الغسل، وتطبق ما تعلمته عمليًّا.

ومن الكتب المفيدة في هذا: كتاب "روح الطهارة" من هذه السلسلة.

ثم تنتقل لتتعلم أداء الصلوات الخمس، وأوقاتها وكيفيتها وأركانها، وكل ما يتعلق بها من أحكام، ثم تتعلم أحكام الصيام وأحكام الزكاة إن كنت ميسور الحال، وتأخذ فكرة عامة عن الحج، لتقيم عباداتك بشكل صحيح.

ومما توليه اعتناءك واهتمامك: فهم الأركان الخمسة، من خلال حِكَمها وأسرارها وفضلها، ومن الكتب المفيدة في هذا: كتاب "الأركان الخمسة حِكَم وأسرار" من هذه السلسلة.

٥. وتتعلم شيئًا من قصص الأنبياء بما تثبت به فؤادك، وخصوصًا قصة نبينا محمد ﷺ، فتقرأ عن مولده ونشأته وبعثته، وبداية دعوته إلى هذا الدين العظيم، ثم هجرته إلى المدينة وتحمله كل بلاء في سبيل إيصال الهدى والخير إلى الناس، وكيف كانت أخلاقه ﷺ مع أصحابه وجيرانه، ومع المخالفين له في الدين.

والكتاب الذي ننصح به في هذا المقصد: كتاب "فبهداهم اقتده" من هذه السلسلة.

سنة النبي ﷺ بين أيدينا اليوم، وأحاديثه المروية عنه موجودة قد اعتنى العلماء بها، فإن أردت أن تقرأ عن الرسول الكريم من أوثق المصادر، فعليك بكتب السنة كصحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهما.

٦. ولْتُخَصِّصْ جزءًا من وقتك لمعرفة المحرمات في الإسلام؛ في الطعام والشراب، وفي العلاقات الأسرية، وغير ذلك، وستلاحظ حينها أن دائرة الحرام في الشريعة دائرة ضيقة محصورة، وما سواها كله مباح حلال بإذن الله.

وينبغي أن تعرف الكبائر المتفق على حرمتها حتى لا تقربها: كالشرك، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وغيرها، وحبذا لو تَتَعَلَّمَ شيئًا عن صغائر الذنوب، كي تحذرها وتجتنبها أيضًا.

ويمكنك الاستعانة بكتاب "الكبائر" للإمام الذهبي، فهو كتاب مفيد وجامع في بابه.

٧. ومن المهم جدًّا أن تتعلم كيف تدير علاقاتك الاجتماعية مع من حولك من المسلمين ومن غير المسلمين، وستتبين حينها أن ديننا الإسلامي الحنيف هو دين المعاملة، يحث على مكارم الأخلاق ومحاسنها، ويعد حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة، وأن الرجل يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، فالصدق، والأمانة، والوفاء، وحفظ العهد والوعد، والعفو، والجود، والإحسان، والرحمة، وغيرها من الأخلاق، كلها من صميم الدين وصلبه.

ويمكنك الاستعانة بكتاب "العلاقات الاجتماعية" من هذه السلسلة.

٨. ومن أهم ما ينبغي عليك العناية في تعلّمه، أبواب الرقائق وأعمال القلوب؛ فالقلب كالزهرة إن لم يعتن المرء بها ذبلت، وجلاء القلب وصفاؤه ونضارته يكون بتعلم عظمة الله تعالى، وتنمية الخشية له والخوف من عذابه، ورجاء ثوابه، وحبه سبحانه والشوق إلى لقائه.

وتتعلم أيضًا الإخلاص والتوبة والخشوع والزهد والورع، وتعظيم الحرمات، والصبر والرضا والشكر واليقين والتوكل، وهي كلها من العبادات القلبية المهمة التي تحتاج إلى عناية ورعاية، وسيجد كل من يعتني بتحقيقها عظيم اللذة القلبية والسعادة الإيمانية، ومن غفل عنها فقد غفل عن خير كثير.

ويمكنك في هذا الاستعانة بكتاب "أعمال القلوب"، وكتاب "الصبر واليقين" من هذه السلسلة.

٩. وأخيرًا من المهم أيضًا أن تتعلم شيئًا عن بطلان الأديان الأخرى، وخاصة الدين الذي كنت عليه، ليزداد يقينك بالإسلام الذي صرت إليه، ولتُحَصِّن نفسك من أي شبهة تطرأ أو تَرِد، ثم تنظر عظيم فضل الله عليك حين هداك إلى الإسلام والدين القويم.

ويمكنك الاستعانة بكتاب "لماذا أنا مسلم؟" وكتاب "المنهج السليم في التعامل مع الشبهات والمشكِّكات" من هذه السلسلة.

لا تنتقل من قضية إلى أخرى إلا إذا رسخت في قلبك وفهمتها وامتثلتها، فقم بإعطائها الوقت الكافي لذلك.

كن هادئ النفس في تلقي العلم، وابدأ بالأولويات كما في الخطة المقترحة، ثم بعد إتقانها يمكن أن تتوسع في العلوم؛ لأن التدرج في طلب العلم له دورٌ كبير في الفهم والإتقان؛ فلا تسعَ لتجاوز المراحل، ولا تَحِد عن هدفك. وإن ظهرت أمامك دروبٌ أخرى ومغريات في التوسع في علم ما؛ فأجِّل ذلك لحين انتهائك من الأساسيات والأولويات.

عن يونس بن يزيد قال: قال لي ابن شهاب -أحد علماء الإسلام المتقدمين الكبار-: "يا يونس! لا تكابر العلم؛ فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة؛ فإن من أراد أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام".

ملاحظة

في وضع خطتك الشخصية لتعلم الإسلام لابد من مراعاة الأولويات في التعلم:

فتبدأ وتركز على أصل الدين، وهو التوحيد، وبيان مفهوم العبودية والاتباع وتعظيم السنة، مع الحذر الشديد من الشرك وذرائعه، ومن نواقض الإيمان الاعتقادية والقولية والفعلية؛ لتقيم دينك على عقيدة سليمة.

ومما يدخل في ذلك: التركيز على مفردات توحيد العبادة من أعمال القلوب، كمحبة الله، والخوف منه، والتوكل عليه، وتعظيمه، وكذلك التركيز في مسائل الاعتقاد على الإيمان باليوم الآخر، واستحضار الآخرة ونعيم الجنة وصفة النار.

وتبدأ بتعلم أركان الإسلام والواجبات الكبرى التي تتعلق أحكامها به، وذلك في أبواب العبادات والمعاملات على حد سواء، مما تحتاجه في يومك وليلتك.

بعد إحكام ما سبق تنتقل للتوسع في علوم الشرع وحفظ كتاب الله وسنة رسول الله والتفقه في سائر علوم الدين.

الخلاصة

١. تأمل دعوة الأنبياء في القرآن لأقوامهم واستنبط كيف بدؤوا بتعليمهم، وما القضايا الكبرى التي ركزوا عليها، يمكنك الاستعانة بكتاب "فبهداهم اقتده" من هذه السلسلة.

٢. ابحث عن وصايا رسول الله ﷺ لمن بعثه معلِّمًا ومبشِّرًا للناس؛ واستنبط منها أولويات التعلم. من مفاتيح الجواب: وصيته لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر، ووصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن.

٣. كيف تفهم وصية العالم الجليل "حماد" لتلميذه الإمام "أبي حنيفة النعمان"- رحمهما الله- حين جاءه يطلب الفقه، فقال له: "تَعَلَّمْ كلَّ يوم ثلاث مسائل، ولا تزد عليها شيئًا حتى ينفتق لك العلم، ففعل، فَفَقُهَ حتى أشير إليه بالأصابع".

اكتب فوائد هذه النصيحة.

٤. ذكر الآجري (أحد علماء الإسلام): أن هناك أولويات في طلب العلم، فأول ما يبدأ به طالب العلم: تعلم القرآن وضبطه، ثم الاشتغال بعلم الحلال والحرام، ثم علم الفرائض، ثم علم السنن النبوية التي تبين معنى الكتاب، ثم علم سنن صحابته رضي الله عنهم، ثم علم الفقه الذي يعرف معاني السنن. [فرض طلب العلم، محمد بن حسين الآجري، ص:١٦٢-١٦٥].

هل تصلح خطة الآجري كمستوًى ثانٍ لتعلم الإسلام؟ ناقش الموضوع مع أحد العلماء الذين تعرفهم.

نشاط إثرائي

التكامل في تعلم الإسلام

قال عبد العليم: أجد ان أولويات التعلم التي ذكرتها لا تشمل الجانب المعرفي العقلي فقط، بل تشمل جوانب إيمانية قلبية ونفسية، فلماذا؟ كنت أريد ان أتعلم الإسلام، وظننت أنني بحاجة لمعارف عقلية لا تتجاوز العقل.

قلت: ملاحظتك دقيقة وهامة، فالعلم في الإسلام يهدف لبناء الإنسان المتوازن بمكوناته كلها: العقلية والقلبية والنفسية والجسدية، وهو علم يقتضي العمل، كما سنبين في جواب سؤال: ماذا بعد العلم، لكن ما دمت أثرت الموضوع هنا، فلابد من إيضاح أهمية التوازن في خطة التعلم الأَوَّلي.

من الضوابط الحاكمة للعملية التربوية التعليمية في الإسلام، أن تراعي الجوانب الأربعة للإنسان، فأي إهمال لجانب منها يؤدي إلى عدم ظهور ثمرة التربية الصحيحة والعلم النافع؛ فعندما يحصل اهتمام بتحصيل العلم، دون الاهتمام بزيادة الإيمان، فستكون النتيجة المتوقعة: شخص يحفظ النصوص ويعرف القيم والمبادئ والمعاني العظيمة، لكنك قد تجد سلوكه في الواقع يختلف عن الأقوال، فهو يتحدث عن العدل والمساواة، بينما لا يتعامل مع الآخرين بهذه القيم، أو يتحدث عن الزهد في الدنيا وأهمية العمل للآخرة، في حين تجده يحرص على جمع المال والدنيا ويهمل آخرته؛ كل هذا وغيره سببه عدم الاهتمام بالإيمان

بنفس درجة الاهتمام بالعلم، فالذي يُقرب المسافة بين القول والفعل، ويُترجم العلم إلى سلوك هو: «القوة الروحية المتولدة من الإيمان».

أما عندما يتم الاهتمام بالإيمان دون العلم، فستجد أمامك شخصًا جاهلًا، يتشدد فيما لا ينبغي التشدد فيه، ويترخص فيما لا ينبغي الترخص فيه، ستجد شخصًا ضيق الأُفق لا يستطيع أن يتعامل مع واقعه بضوابط صحيحة من دينه.

وفي حالة الاهتمام بالعلم والإيمان مع عدم الانتباه للنفس، وإهمال تزكيتها، فستكون النتيجة المتوقعة: شخصًا كثير العبادة، كثير المعلومات، سبَّاقًا لفعل الخير وبذل الجهد، لكنه متورم الذات، يرى نفسه بعدسة مكبِّرة، ويرى غيره بعكس ذلك، لأن عبادته وأوراده وبذله ستغذِّي -في الغالب- إيمانه بنفسه وبقدراته، وأنه أفضل من غيره، فيتمكن منه -بمرور الأيام واستمرار الإنجازات و النجاحات- داء العُجْب، ومن ورائه الغرور والكِبْر والعياذ بالله، فيُعرِّض نفسه لمقت ربه وحبوط عمله.

غاية العلم في الإسلام: أن ينجح المسلم في دنياه ويفلح في أخراه، وهذا لا يتم دون مراعاة ما سبق.

التقويم

١ علِّل:

١. البدء في التعلم بمعرفة مفردات العقيدة السليمة.

٢. أهمية معرفة نواقض الإيمان الاعتقادية والقولية والفعلية.

٣. التكامل في التربية والتعليم في الإسلام بين حاجات العقل والقلب والنفس والجسد.

٢ صنِّف الجمل ضمن الجدول المرفق:

تعلم أركان الإيمان ونواقض الإيمان.
تعلم أحكام الطهارة.
تعلم أحكام الصلاة.
تعلم كيفية تطهير القلوب وتزكية النفوس.
حفظ سورة الفاتحة وقصار السور.
تعلم أحكام البورصة لمن لا يتعامل معها.
حفظ سورة البقرة.
تعلم مقاصد الإسلام الكبرى.

أولوية في التعلم	مرتبة ثانية في التعلم

العلم الشرعي في حياة المسلم

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يستقرئ منهج الوحي في تعليم الصحابة للاهتداء به في مسيرة تعلمه.
- يستنبط أهم القواعد والقوانين ليحتكم إليها في معرفة الصحيح وتجنب الخطأ.
- يتعرف على مصادر العلوم الشرعية الصحيحة وكيفية التعامل مع تلك المصادر.
- يستبين الطرق الصحيحة لتحصيل العلوم الشرعية من مصادرها ورجالها.
- يحدد منهجية معرفة المصادر الموثوقة من المشبوهة أو المنحرفة.
- يطلع على أهم المواقع والبرامج الإلكترونية التي تعلم الإسلام.

كيف أتعلم العلم الشرعي؟

ما قدمته لعبد العليم فيما سبق كان بمثابة القواعد التمهيدية المهمة، والخطط المقترحة لكيفية تعلمه الإسلام، فهي لم تستوف كل الجوانب، وهو بالتأكيد لا يزال يفكِّر، وتجول برأسه أسئلة كثيرة، ولهذا لم يفاجئني قوله:

قد فهمت كل ما سبق، وخصوصًا جواب سؤال "ماذا أتعلم من العلوم الشرعية؟" إلا أنني وصلت للسؤال المحوري: كيف أتعلم؟ وممن أتعلم؟ ماهي مصادر تعلم الإسلام الصحيحة؟ وكيف أعرف المصدر الموثوق من غيره؟

قلت: فيك صفة مهمة من صفات طالب العلم، وهي الحماسة للتعلم والحرص والدقة، فما سألت عنه ينبغي ألا يُتجاوز دون تفصيل وإحكام لأهميته، ودعنا نتتبع ترتيب نزول الآيات القرآنية؛ لتدلنا على منهجية الوحي في تعليم الصحابة الكرام، فالنظر في أوائل ما نزل من القرآن يدلك على أول ما ينبغي أن تلاحظه أثناء تعلمك للإسلام، وفيه إجابات لكثير من الأسئلة التي طرحتها بشكل واضح.

تدبر النصوص التالية ثم أجب:

قال الله تعالى:

- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ – ٥].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدثر: ١ – ٧].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ١ – ٤].

- ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

- ما أهم الأفكار التي وردت في النصوص السابقة؟
- لماذا قال الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾، ولم يقل اقرأ فقط؟ ما الحكمة من ذلك؟
- ما أدوات التعلم التي ذكرتها النصوص؟
- أين تجد الرابط بين العلم والعمل في النصوص السابقة؟
- أين تجد الرابط بين العلم والأخلاق؟

كان منهج الوحي في تعليم الصحابة دينَهم، يقوم على التلقي من القرآن الكريم ومن رسول الله ﷺ، وكان يعزز لديهم التلقي لأمر الله تعالى ورسوله بروح المعرفة المنشئة للعمل، والمبادرة مباشرة للتنفيذ والتطبيق؛ ولا زال القرآن الكريم وبيان النبي عليه الصلاة والسلام هما المنبعان الوحيدان العذبان الصافيان الصالحان للتعلم منهما، لا تخالطهما شوائب الثقافات الأخرى.

والمسلم يتعلم من القرآن الكريم ويتعامل معه كمصدر المعرفة الأول (يُلجأ إليه لأنه ينبوع المعنى).

ويقرأه للاستبصار (يأتي للنص بأسئلة ليستلهم منه المعنى تبصرًا واسترشادًا).

وبالنظر إلى أوائل ما نزل من القرآن نجد أن أسس البناء المعرفي وتعلم الدين تقوم على:

- استحضار الهدف والغاية ومصاحبتها لكل تعلم وعمل.
- التطبيق العملي للعلم الذي تلقاه المسلم.
- تعليم الناس وتقديم النموذج التطبيقي.
- الاستعانة بالله والصبر وتحمل الصعاب والمشاق.
- مدارسة العلم دون استكثار في الجلسة ليتمكن من استيعابه.
- استخدام الأدوات المساعدة للتعلم كالقراءة والكتابة وهي من أهم الأدوات.
- الربط بين العلم والأخلاق.

نتيجة

إثراء

قال أحد علماء المسلمين وهو الخليل بن أحمد: «ما سمعت شيئًا، إلا كتبته، ولا كتبت شيئًا إلا حفظته، ولا حفظت شيئًا إلا انتفعت به».

ولو عدنا إلى القرآن الكريم ونظرنا في آياته، سنجد منهجًا عظيمًا للتعلم والتعليم، فلنتفكَّر في الحِكم الإلهية التي تتحدث عنها الآيات التالية:

- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦].
- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٢ – ٣٣].
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦].
- ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢٨٦].
- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥].
- ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج ٧٨].

ناقش

- **ما الحِكَم الإلهية في حق الرسول ﷺ من إنزال القرآن مفرقًا على دفعات متعددة خلال ثلاث وعشرين سنة؟**
- **ما الحِكَم الإلهية في حق الصحابة الكرام من إنزال القرآن مُنَجَّمًا على مدى ثلاث وعشرين سنة؟**
- **ما الذي يستفيده المسلم المعاصر في الوقت الراهن من تلك الحِكَم؟**
- **هل ترى أن تعلم الإسلام بمختلف علومه دفعة واحدة أفضل، أم أن الأفضل تعلمه خطوة خطوة، ومرحلة بعد مرحلة، ما استطاع المسلم إلى ذلك سبيلًا، وفق منهج الأولويات الذي سبق ذكره؟ ولماذا؟**

نتيجة

نزل القرآن الكريم مفرَّقًا وعلى وفق الحاجات والنمو المطرد للأفكار والتصورات، والنمو المطرد في المجتمع والحياة، ووفق المشكلات العملية التي كانت تواجه المسلمين، لترسم لهم منهج العمل وخطواته بشكل تدريجي بما يستطيعه الإنسان دون حرج، وتصحح لهم أخطاء الاعتقاد والشعور والسلوك، وتربطهم بالله تعالى وحده، وتعرفه لهم بصفاته العلا وأسمائه الحسنى ليستشعروا أثرها في الكون، ثم ليتكيفوا في واقع حياتهم وفق ذلك المنهج الإلهي القويم.

وقد فهم الصحابة هذا المنهج، وأدركوا مافيه من الحكمة، فلما صاروا هم المعلمين للناس لم يكن غريبًا عليهم، وقاموا به حق القيام:

١. روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا قاضيًا وأميرًا إلى اليمن وقال له: «إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

٢. وقالت عائشة رضي الله عنها، فيما أخرجه البخاري: «إنما نزل أولَ ما نزل سورة من المفصَّل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول ما نزل: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا».

- ما هي استنتاجاتك من هذين الحديثين الصحيحين؟

لاحظ

كان التدرج في التشريع والدعوة والتربية هو منهج القرآن الكريم، وقد التزمه الرسول عليه الصلاة والسلام وطبَّقه عمليًا أحسن تطبيق، ولذلك نجح في نشر الدعوة، وإقامة المجتمع الإسلامي، وتربية الصحابة الذين هم أفضل جيل عرفه التاريخ، وقد بدأت التعاليم الشرعية بتقرير العقيدة أولًا، مع التوطئة والتمهيد والإشارة إلى غيرها، ثم شُرِعَت العبادات مع بيان مقاصدها السلوكية، ثم الأخلاق، مع بيان فضلها وشمولها، ثم المعاملات، ثم العقوبات، وفي كل قسم كان التدرج واضحًا، فبدأت أحكام الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، وفي المعاملات بدأت أحكام المباحات ثم المحظورات، وبدأت العقوبات بالتحذير، والتخويف، وبيان النتائج الوخيمة للجرائم وارتكاب الفواحش، ثم نزلت العقوبات بشكلها النهائي.

قال عبد العليم: أجد منهج الوحي في تعليم الصحابة قد سبق العلوم المعاصرة في وضع قواعد وأخلاقيات التعلم، خصوصًا في الجمع بين العلم والتطبيق، وبين العلم والأخلاق، وبين التدرج ومراعاة حال المتعلم، واستخدام أدوات المعرفة التي لا غنى عنها وهي القراءة الهادفة والكتابة، الحمد لله أن هداني لدين الحق والعلم الذي أول آية نزلت فيه هي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١].

قلت: الحمد لله على نعمه كلها، ما علمنا منها وما لم نعلم.

قواعد التمييز بين الصواب والخطأ

قال عبد العليم: كيف أميز بين الصواب والخطأ، والحق والباطل في عالم الأفكار والسلوك، خصوصًا في زماننا هذا، حيث انفجرت المعلومات، وصار التمييز بين ما يجب أن نأخذ وما يجب أن نترك صعبًا؟

قلت: سؤالك جيد ومهم، ولعلك تعرف أن من أسماء القرآن الكريم "الفرقان"، فبتدبر آياته والالتزام بما فيه يمكن أن نصل لمرحلة الرشد والوعي، في التفريق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[الفرقان: ١]. فعليك بالقرآن قراءة وتدبُّرًا وتفهُّمًا وتطبيقًا؛ فهو من أعظم السُّبل للتمييز بين الحق والباطل، ومنه نستنبط القواعد الشرعية، والضوابط التأصيلية، التي يمكن بها التمييز بين الصواب والخطأ، بل حتى بين الصواب والأصوب، وبهذه القواعد يُعرف الحق فلا يلتبس على المسلم؛ سواء في مسائل الاعتقاد أو العمل، أو الأخلاق، أو السلوك أو العبادة.

ودعنا نتأمل في القرآن الكريم لنستنبط القواعد التي يُتوصَّل بها إلى معرفة الحق واجتناب الباطل، فهي بمثابة منارات، وقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

تدبَّر الآيات التالية:

١. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة: ١٨ – ١٩].

٢. ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

٣. ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢١٣﴾ [البقرة:٢١٣].

٤. ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٦٤﴾ [النحل: ٦٣- ٦٤].

٥. ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آل عمران:١-٤].

- على ماذا تتحدث النصوص السابقة بشكل عام؟
- هل تجد فيما سبق من نصوص ما يدل على أن القرآن الكريم هو ينبوع المعنى ومصدر الهداية، وميزان التفريق بين الحق والباطل؟
- ما الذي يجعل القرآن الكريم مصدر المعاني، وميزان التفريق بين الصواب والخطأ، والمعيار الذي ينبغي للبشر أن يحتكموا إليه؟

اقرأ وتدبَّر:

١. قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٢ – ٥].

٢. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران: ٣١- ٣٢].

٣. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

- هل لاحظت الربط بين اتباع النبي ﷺ، وبين سلوك سبيل الحق والنجاة من تشعبات الباطل؟

الآيات السابقة توضح القاعدة الأهم وهي: كل ما يصدر من رب العزة جل وعلا هو الحق، فمن أسمائه سبحانه الحق، كما أن أنبياءه ورسله الذين أرسلهم إلى الناس لا ينطقون إلا بالحق؛ لأنهم يتلقون شرائعهم وتوجيهاتهم للناس عن طريق الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بينما يخضع ما يصدر عن العباد من أقوال أو أفعال أو أفكار للميزان والتمحيص.

ينبغي طاعة الله وطاعة رسوله، والأخذ بكل ما جاء به الكتاب، وبكل ما جاءت به السنة الثابتة الصحيحة؛ لأنها هي التي تشرح القرآن، وتبينه، وتفصّله، مع الابتعاد عن السبل المختلفة التي تشتت الناس عما أنزله الله.

كلما كان المسلم أعظم اتباعًا لكتاب الله -الذي أنزله هدًى للناس وفرقانًا بين الحق والباطل- واتباعًا لنبيه ﷺ -الذي أرسله هاديًا وسراجًا منيرًا- كان أعظم فرقانًا، ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان، واشتبه عليه الحق بالباطل.

فالقرآن الكريم ميزان فارق بين الحق والباطل، وهداية إلى الحق، وكذلك سنة النبي ﷺ، واتباع القرآن والسنة يورث في القلب إيمانًا ونورًا وبصيرة، يستطيع المسلم من خلالها التفريق بين الحق والباطل أيضًا، كما قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وكما قال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

تعلُّم القرآن يحيي القلب ويزيد الإيمان، وينوِّر البصيرة، ويعطي القدرة على وزن الأمور بمقياس صحيح.

يمتاز أهل الحق بإيمانهم بجميع نصوص الكتاب وما ثبت من السنة، فيؤمنون بالنصوص كلها، ولا يأخذون ببعض الوحي ويردون بعضه.

نتيجة

إثراء

في الحديث أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا؛ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [رواه الحاكم: ٣١٨]

نشاط

ابحث في القرآن الكريم عن الآيات التي وردت فيها كلمة "فرقان" وكلمة "هدى" واقرأ في تفسيرها، واذكر الفوائد التي تستنبطها منها، وشاركها مع أصدقائك.

ولنتأمَّل مليًّا هذه المجموعة من الآيات الكريمة لنستنبط منها:

١. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤].

٢. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

٣. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

٤. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٥. ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ﴾ [النساء: ٥٩].

٦. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٣- ٤٤].

- عماذا تتحدث النصوص السابقة بشكل عام؟
- هل تجد دورًا للعقل في معرفة الحق من الباطل وتمييز الصواب من الخطأ؟
- ما دور الفطرة السليمة في التمييز بين الصواب والخطأ برأيك؟
- هل تستطيع استنباط قاعدة للتمييز بين الصواب والخطأ من خلال مقياس الطيِّب والخبيث؟
- إذا اشتبه عليك أمر بين صواب وخطأ، فما الطريقة للتوصل إليه كما تفهم من النصين الأخيرين؟

ارجع إلى كتاب «**المنهج السليم في التعامل مع الشبهات**» من هذه السلسلة، وتعرف فيه على منهج التعامل مع الشبهات في الإسلام .

الآيات السابقة توضح مجموعة من الضوابط والمعايير في منهجية التمييز بين الصواب والخطأ:

فالقرآن يأمر بفريضة التفكير وتحري الرشد والحق معًا، ثم يشير إلى أن فطرة الإنسان تميل للحق والصواب، فإن التبس على الإنسان شيء وجب أن يعود للعلماء الثقات المختصين الذين يستنبطون من القرآن والسنة.

استخدام العقل لفهم النص والقياس عليه والاستنباط منه قاعدة إسلامية، شريطة مراعاة ما فهم منه الأولون من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فتلاميذهم من التابعين وتابعيهم رحمهم الله، وما كانوا عليه في العمل، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل.

مع تحكيم خصال الفطرة السليمة في تحري الرّشد والحق؛ لأن الحق مرتبط بكل فضيلة وخير، وكل منفعة إنسانية عامة، بينما الباطل مرتبط بكل مذمة وشرٍّ وقبيح من الأقوال والأفعال والمعتقدات، وبالتالي فإن النفوس ذات الفطرة السليمة تستطيع التمييز بين الحق والباطل، بما يرتبط بهما من الأفعال والأقوال، فالباطل على سبيل المثال يقترن بعدد من الأفعال التي تأباها الفطرة السليمة، فضلًا عن العقل الرشيد؛ مثل الزنا والكذب والغيبة والنميمة والقتل والكِبر وسوء الأخلاق والطباع، بينما يقترن الحق بعدد من الأفعال التي توافق الفطرة؛ ومنها التواضع والكرم والعفو والتسامح وحسن العشرة، وغير ذلك من الأخلاق الحسنة.

إن اشتمال الشيء على المنفعة، وخلوَّه من المضرة سبيل لمعرفة الحق، فإذا كان طيِّبًا فهو حق، وإذا كان خبيثًا فهو باطل، فمثلًا: إذا نظرتَ في البيع والربا؛ فإنك ستعلم من خلال الواقع، ومن خلال آثار البيع، وآثار الربا، لماذا هذا حقٌّ وما فيه من منافع، ولماذا هذا باطل وما فيه من مضار. وإذا نظرتَ في النكاح وفي الزنا، ورأيتَ آثار هذا، وآثار هذا، ستعلم لماذا النكاح حقٌّ، والزنا باطل، وهكذا.

"الرجوع عند التنازع إلى الله ورسوله" لأن دين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله، وما اتفقت عليه الأمة.

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الرد إلى الله: هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد موته هو الرد إلى سنته.

نتيجة

مصادر العلوم الشرعية وكيفية التعامل معها

قال عبد العليم: فما هي مصادر العلوم الشرعية؟

قلت: بالعودة إلى تعريف العلوم الشرعية نستطيع استنباط المصادر، حيث قلنا حينها إن المقصود بالعلم الشرعي: هو علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى، والمعارف التي تخدم ما جاء به الشرع الإلهي، وتشمل ما كان مطلوبًا تعلمه لذاته كعلم القرآن والتفسير والحديث والفقه والتوحيد والسيرة، كما تشمل ما كان مطلوبًا من باب الوسائل كالعلوم المساعدة؛ مثل اللغة وأصول الفقه ومصطلح الحديث.

نشاط

من خلال التعريف هل تستطيع أن تصنف مصادر العلوم الشرعية إلى فئات؟

تصنيف مصادر العلوم الشرعية

١. القرآن الكريم: هو المصدر الأول، و هو معجز في لفظه، مُتعبَّد بتلاوته، أصل هذا الدِّين وعز هذه الأمة وباني حضارتها، والمقيم لتشريعها، والمقوِّم لأخلاقها، والهادي إلى سواء السبيل، وهو كتاب حق وصدق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وقد تكفَّل الله بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وهو ينبوع المعرفة ومصدر الأحكام والحكمة، وفيه صلاح الإنسانية وما تحتاجه لهدايتها وسعادتها، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وهو كتاب يهدي لأفضل السبل وأقومها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقد نشأت علوم عدة لخدمة هذا المصدر؛ كعلم التفسير، وإعراب القرآن، وأسباب النزول، وأحكام القرآن، وغيرها.

٢. السُّنَّة المُطَهَّرة: وهي أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته، وهي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، وقد جاءت مفسِّرة وموضِّحة للقرآن ومؤكِّدة لأحكامه، ومفصِّلة لمُجْمَله ومُخَصِّصة لعُمومه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

كما جاءت بأحكام لم يأتِ بها القرآن الكريم، وإنما أوحى بها الله إلى نبيه ﷺ فبلغها بأحاديثه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤]، وفي الحديث الصحيح عن المقدام بن مَعْدِي كَرِبَ، قال: حَرَّمَ رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء، ثم قال: «يوشك أحدكم أن يُكَذِّبَنِي وهو متكئ على أريكته يُحَدَّثُ بحديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حَرَّمَ رسول الله ﷺ مثل ما حَرَّمَ الله». [رواه الإمام أحمد: ١٧١٩٤].

وقد نشأت علوم عدة لخدمة هذا المصدر؛ كعلم مصطلح الحديث، وتخريج الأحاديث وشرحها، وغير ذلك.

لاحظ

الكتاب والسنة وحي من الله عز وجل، وهما مصدرا العقيدة والأحكام والأخلاق والقيم والموازين والتصورات.

٣. التُّراث الإسلامي: تراث علماء المسلمين الذي كتبوه وصنفوه في شتى العلوم، هو أحد أهم مصادر المعرفة عن الإسلام وشريعته، فلا يُستغنى عن كتب الفقه والأصول والعقائد والنحو والبلاغة والسيرة وغيرها الكثير مما أنتجه فقهاء وعلماء الإسلام.

قلت لعبد العليم: لقد كان الخلل في التعامل مع هذه المصادر الثلاثة، أهم مداخل انحراف الفرق الضالة، وهذا ممّا ينبغي ألا نغفله في النقاش والحوار.

قال عبد العليم: وهل هناك منهجية للتعامل مع هذه المصادر؟

قلت: نعم، فلْنتأمَّل هذه النصوص، ولْنستنبط منها كيف ينبغي أن يتعامل المسلم مع هذه المصادر:

اقرأ بتدبُّر:

١. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات:١].

٢. وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

٣. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

- ماذا تفهم من النصوص السابقة؟
- هل يصح أن نترك قول الله وقول رسوله لقول أحد ما، كائنًا من كان؟
- إذا كان الدين كاملًا فهل تستطيع الزيادة عليه؟ وهل يجتمع كمال الدين مع كتمان النبي ﷺ لشيء منه؟

نتيجة

المسلم يؤمن بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة؛ ولا يرد منها شيئًا ولا يعارضها بشيء؛ ويقف حيث تقف النصوص، مُعَظِّمًا لها مؤمنًا بها ملتزمًا بقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب:٣٦].

والمسلم يؤمن إيمانًا جازمًا بأنَّ الكتاب والسنة اشتملا على جميع أصول الدين ومسائله، ويوقن أن رسول الله ﷺ بيَّن جميع الدين، ووضَّح أصوله وفروعه، وباطنه وظاهره؛ فكتاب الله -تعالى- وسنة نبيه محمد ﷺ هما العمدة في معرفة الدين القويم.

والمسلم ينظر في جميع أقوال الناس وما يبدونه من آراء، ويعرض كل ذلك على الكتاب والسنة؛ فيقبل منها ما وافقهما، ويرد من ذلك ما خالفهما، قال رسول الله ﷺ: «وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ» [ابن ماجه: ٥، وحسنه الألباني].

ولا يمكن للمسلم أن يتجاهل التراث الإسلامي الغني والثري بتلك الدعاوى التي تقول: إنه يجب علينا ترك التراث بالكلية، والنظر إلى نصوص الوحي من الكتاب والسنة لنستخرج منها منهج النظر والبحث بما يتماشى مع عصرنا، فهذا نوع من التطرف في الفكر، وغمط للحق. وفي الوقت ذاته، هناك نظرة -متطرفة أيضًا- ترى تقديس التراث بكليته، وأنه يجب تقديم التراث كما هو دون مراعاة العصر واحتياجاته؛ مستندين إلى أن هذا التراث هو الذي كان سببًا في تطور المسلمين وبناء حضارتهم. والنظرة الصحيحة للتراث نظرة معتدلة؛ بين التقديس والتبخيس، تنظر إليه كجهد بشري قد يعتريه قصور الزمان أو المكان، لكن فيه كنوزًا معرفية لا يُستغنى عنها.

لاحظ

في واقع الأمة المعاصر هناك مدارس تعتمد المصالح خارج إطار النصوص الشرعية، وتستبعد الاستدلال بالهدي النبوي في ترشيد تنزيل النصوص على الواقع، وتستورد أنظمة وأفكارًا وممارسات تخالف المعروف من الإسلام بالضرورة، وهؤلاء ينبغي الحذر منهم ومن منهجهم وإنتاجهم المعرفي لما فيه من ضلال وانحراف.

يمكنك الرجوع إلى كتاب "لماذا أنا مسلم؟" للتعرف على بعض الفِرَق والمذاهب المنحرفة عن الإسلام

طرق تحصيل العلوم الشرعية

قال عبد العليم: فكيف أحصِّل العلوم الشرعية وعمن آخذ العلم؟ وهل من مواصفات محددة للعالِم الذي أتعلم منه؟

قلت: هذا سؤال مهم، فاقرأ وتدبَّر ثم استنتج:

١. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

٢. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: ٨٣].

٣. وقال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣].

- ما الموضوع المشترك بين الآيات الثلاث؟
- ما المراد بأولي الأمر الذين يستنبطون؟
- من هم أهل الذِّكر؟

النتيجة

من طرق تحصيل العلوم: التلقي عن العلماء الموثوقين واستفتائهم والتعلم منهم.

والمراد بأولي الأمر في الآيات: الأمراء والرؤساء والعلماء الربانيون، والأمراء يرجعون فيما أشكل عليهم إلى العلماء الربانيين، فعاد الأمر إلى فضل العلم والعلماء، وأنهم أئمة الناس الذين يُقتدى بهم، ويهتدي بسببهم الضال، ويتعلم الجاهل.

صفات العالِم الذي يؤخذ منه العلم:

وأما سؤالك عمن تأخذ من العلماء وماهي صفاتهم فدعنا نبدأ بنشاط تمهيدي للفكرة.

نشاط تمهيدي

ما تقويمك لشخص يطلق على نفسه لقب عالِم؟ ولماذا؟

استحضر أسماء عدد من هؤلاء، وابحث عن تخصصاتهم العلمية، ونوعية إنتاجهم من الكتب والعلوم والأبحاث، وطريقة عرضهم للموضوعات التي يتحدثون عنها.

ما الذي يميز هؤلاء عن غيرهم من الأشخاص الذين يُعدُّون من نخبة العلماء؟

هل ثمة فرق بين من يطلق على نفسه صفة العالِم، وبين من يصفه غيره بهذا الوصف؟

ربما يمكنك الآن تحديد عدد من المواصفات الرئيسة للعالِم الحقيقي.

قلت لعبد العليم: إن معرفة العالِم الحق مهمة جدًّا، على الأقل للتمييز بين ما هو دين، وبين ما هو مُعْطًى ثقافي، وحتى لا تقع بفخ التعلم عند من منهجه متشدد أو مميع للدين، عافانا الله وإياكم.

وانظر إلى كلام عَلَمَين من أعلام علماء المسلمين في اشتراطهم فيمن تتعلم عليهم وتتلقى منهم:

- سئل الإمام مالك رحمه الله: "أيؤخذ العلم عمن ليس له طلب ولا مجالسة - يعني ليس له مجالسة للعلماء وملازمة لهم وتعلم عندهم-؟ فقال: لا. فقيل: أيؤخذ ممن هو صحيح ثقة غير أنه لا يحفظ، ولا يفهم ما يحدث؟ فقال: لا يكتب العلم إلا ممن يحفظ، ويكون قد طلب، وجالس الناس، وعرف وعمل، ويكون معه ورع". [نقله السيوطي في إسعاف المبطأ برجال الموطأ ص٤].

فالمعادلة هنا:

طلب للعلم واجتهاد فيه + ملازمة العلماء عند طلب العلم + حفظ للعلم ووعي به + عمل بالعلم + ورع وخشية = عالم تنتفع الأمة بعلمه ويؤخذ منه، وغير ذلك قد يكون واعظًا أو داعية ولكن لا يُسَمَّى عالِمًا، ولئن دخل غير العالِم في الإفتاء فسيكون ضرره على الناس أكبر من نفعه.

- وقال الإمام النووي رحمه الله: "ولا يأخذ العلم إلا ممن كملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانته وسيادته" [المجموع شرح المهذب، ١/ ٣٦].

فالمسلم يتعلم ممن يثق بهم، ممن يغلب على ظنه أنهم من أهل العلم والدين، واشتهروا بين الناس بسيرتهم العلمية والسلوكية، فيستفيد من أحوالهم وينتفع بأقوالهم ويتأسى بسيرتهم، وليس كل من ادعى العلم أحرزه، ولا كل من انتسب إليه كان من أهله، قال ابن سيرين رحمه الله: "هذا العِلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم" [المجموع شرح المهذب، ١/ ٣٦].

قال إبراهيم النَّخَعِيُّ رحمه الله: "كانوا إذا أتَوا الرَّجُلَ ليأخذوا عنه، نظروا إلى سَمْتِه وإلى صلاته، وإلى حاله، ثم يأخذون عنه" [الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٤١٨].

أخذ أي علم من غير المختص فيه خطورة؛ لأن طالب العلم حينها لربما يتعلم العِلم مقلوبًا، فلا يعرف مقدماته من مباحثه، ولا مباحثه الجليلة من مباحثه الثانوية، ولا يفرِّق بين مصادره المؤسِّسة واستدراكات المتأخرين، ولا يعرف الإضافات النوعية فيه، من انتحالات المُبْطِلين المتعلقين بذلك العلم بغير سند علمي.

ولهذا لا ينبغي أن يستشير طالبُ العلم عامةَ الناس في العلم الذي يريد تعلمه، بل عليه أن يأتي "البيوت من أبوابها"، بمعنى يأتي للعلماء لتُفتح له مغاليق العلوم، ويتدرج في تعلمه، ويرتقي في فهمه، حتى يصير من أهلها.

ولا يؤخذ العلم ممن أخذه من الصحف والصحائف والفضاءات الافتراضية؛ فلا يؤخذ من الكتابات الإعلامية لأنها غير متخصصة، ولا من وسائل التواصل الاجتماعي، فإنها دروب مفتوحة فيها الغث والسمين، وليست طريقًا للتعلم الاحترافي السليم المتخصص.

ولو طلبت العلم من المواقع الإلكترونية الموثوقة، فلا تهمل التواصل مع القائمين عليها من العلماء، حتى تتعلم منهم روح العلم وأخلاقه ودقائقه.

انتبه

اكتب لديك قائمة بأسماء عدد من الأشخاص ممن تسمعهم يتحدثون عن الدين، حاول أن تصنف هؤلاء الأشخاص ضمن خمس فئات: عالِم، مفكر، داعية، مُصلِح، مثقف. إذا وجدت صعوبة في التحديد الدقيق للفئة التي ينتسب إليها الشخص، فلا مانع في البداية من تصنيفه في فئتين أو أكثر، ثم حاول التدقيق لوضعه في فئة محددة واحدة.

حاول البحث في صفات كل فئة من هؤلاء.

نشاط

غياب العلم الشرعي، أو ضعفه، أو تلقيه عن غير العلماء الثقات، قد يدفع بعض المسلمين المتحمسين لنصرة الدين وتحسين أوضاع المسلمين الاقتصادية والسياسية، للجوء إلى جماعات العنف بدعوى الجهاد، أو تغيير المنكر، وهذه الجماعات وقعت في ضلالات كبيرة، وصلت إلى حد إراقة الدم المعصوم؛ جهلًا وتأولًا فاسدًا، أو تعالمًا وتعصبًا.

فغياب الفقه بأنواعه المختلفة -سواء ما تعلق بفقه الشرع أو بفقه الواقع- وتلقيه من غير العلماء، من أكبر أسباب الغلو، وأسباب عكسه أيضًا، وهو التمييع والتسيب، والذي ما هو إلا صورة من صور الغلو.

وقد أبرز الإمام الحسن البصري رحمه الله دور ضعف العلم في نشأة الغلو والتطرف حين قال: «اطلبوا العلم طلبًا لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بالعلم؛ فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم، حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ». [مفتاح دار السعادة ١/ ٨٣]، وكان يقصد بذلك فئة ضالَّة تُسَمَّى الخوارج.

وهنا نؤكد على أهمية تعلم الإسلام، وملازمة العلماء الثِّقات، والتفريق بين العالِم وبين غيره ممن يتحدث بالدين والعلم من أشباه العلماء، وليس بعالِم.

ملاحظة مهمة

قلت لعبد العليم: هل تعرف الطريق الثاني لتعلم الإسلام بعد مجالسة العلماء الثقات والتلقي منهم؟

قال: أظن أنه الكتاب الإسلامي والمؤلفات التي ألفها علماء الإسلام، أليس كذلك؟

قلت: بلى، أحسنت الجواب، فالكتاب من أهم العوامل المؤثرة في العملية التعليمية، بالإضافة إلى كونه وسيلة فاعلة دعت إليها منهجية المعرفة البشرية، فهو ليس مجرد وسيلة مساعِدة في التعلم فحسب، وإنما هو صلب العملية التعليمية وجوهرها، ويظل الكتاب التعليمي متمتعًا بمكانة مرموقة، فهو أهم مصدر من مصادر تعلم الطالب وتقويمه ومراجعته والاستزادة من التحصيل، وهو سهل الاستعمال، قليل التكلفة غالبًا.

قال عبد العليم: قد مرت معنا في أولويات التعلم أسماء بعض الكتب التي نصحتني بها، فجزاك الله خيرًا.

قلت: مطالعة ودراسة الكتب سبيل مهم للتعلم، والمكتبة الإسلاميّة تزخر بالعديد من المُصنَّفات التي وضعها كِبار العُلماء الأجلَّاء، والأئمة الأعلام من أهل الهُدى والنور، الذين فتحَ الله بصيرتَهُم وسخَّرهُم لخدمة دينه وإعلاء كلمته.

لكن الكتب المصنَّفة على مستويات، فبعضها يصلح للمختصين، وبعضها للمبتدئين وبعضها للمتقدمين؛ فلابد أن يكون الكتاب مناسبًا لمستوى المتعلِّم، ولمعرفة ذلك علينا العودة للعلماء لسؤالهم عن الكتاب الذي يرشحونه للطالب بحسب مستواه، أو البحث والمطالعة الجادة حتى نجد الكتاب الأنسب لمستوانا المعرفي.

نشاط

اكتب بحثًا عن أهم المصادر والمراجع في العلوم الإسلامية. يمكنك الاستعانة بالإنترنت، والرجوع لكتاب: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر لمحمد عجاج الخطيب.

تعلُّم الإسلام من خلال الإنترنت

قال عبد العليم: هل نستطيع اعتبار الإنترنت والشبكة العالمية وسيلة وطريقة لتحصيل العلوم الشرعية كما الكتاب الإسلامي؟

قلت: نعم، هي مصدر مفتوح يمكن للمسلم أن يستفيد منه بعد أن يتسلح بقواعد التمييز بين الصواب والخطأ والحق والباطل، وينبغي للمسلم أن يرجع للمواقع الموثوقة التي يُزَكِّيها أهل العلم، كما يمكن الاستفادة من الأكاديميات الشرعية الإلكترونية، والتطبيقات المنتشرة على أجهزة الهواتف الذكية، وكذلك القنوات الفضائية، وقنوات اليوتيوب، ومواقع الإنترنت.

ومع وفرة الخيارات وتعددها -مما يمكن أن يشتت المسلم؛ فلا يعرف أيها يختار، وبأيها يبدأ- سنرشح بعض هذه القنوات والمواقع والتطبيقات التي تسعى لنشر الدين الإسلامي بطريقة صحيحة للمسلمين وغير المسلمين بالعديد من اللغات، وتهتم بتصحيح المعلومات المغلوطة الشائعة حول دين الله، وتحرص على نقل تجارب من أسلموا حديثًا، ولماذا رأوا أن دين الإسلام هو دين الحق، وغير ذلك مما يفيد في تعلم الدين، ولك أن تطلع عليها وتحدد الأنسب لك من بينها:

مركز أصول

osoulcenter.com

يهدف الموقع إلى الارتقاء بجودة المحتوى العلمي الدعوي والتعليمي، وإعداده وتطويره، ونشره بلغات العالم، برؤية واضحة، ومنهج علمي يخاطب جميع الثقافات.

وينبثق عن مركز أصول مواقع دعوية عديدة وخزان معرفي كبير بلغات عدة، ويمكن أن تطلع على المواقع الدعوية المتفرعة عنه بالضغط على الرابط:

osoulcenter.com/ar/websites

موقع دين الإسلام

www.islamreligion.com

الموقع واحد من أهم وأفضل المواقع لدعوة غير المسلمين، وهو مترجم ل ١٧ لغة مختلفة، ويضم نخبة من العلماء والدعاة.

الموقع مناسب لأي شخص لا يعرف أي شيء عن الدين الإسلامي، وكل ما عليه هو الدخول للموقع والتحدث مع أحد المختصين ليجيب عن سؤاله، أو يحدد معه موعدًا.

يقدم الموقع أهم الأخطاء الشائعة عن الإسلام ويصححها، ويقدم العديد من المقالات والمقاطع المرئية، وسلاسل مختلفة للتعريف بالإسلام.

موقع دار الإسلام

islamhouse.com

الموقع مكتبة ضخمة تحوي العديد من الكتب الصوتية والمقالات والمقاطع التعريفية بالإسلام، ويحوي العديد من التراجم والمقالات التي تتحدث عن القرآن الكريم، وهو مترجم ل ١١٤ لغة وهذا رقم ضخم، مما يعني أنه قادر على دعوة غير المسلمين في أي بلد أيًّا كانت لغتهم.

يضم الموقع العديد من العلماء والدعاة الذين يعملون في الدعوة، ويقدم الكثير من الأطروحات والمناقشات عن القضايا المعاصرة، ويجيب على الكثير من التساؤلات.

موقع islam guide

www.islam-guide.com

يعرض الموقع واحدًا من أشهر كتب الدعوة للإسلام، الذي كان سببًا في دخول كثيرين لدين الإسلام وهو كتاب "الدليل المصور لفهم الإسلام"، وهو من أشهر الكتب وأكثرها تداولًا، والموقع مترجم ل ١٣ لغة.

الموقع يعد دليلًا إسلاميًّا لغير المسلمين الذين يرغبون في فهم الإسلام والمسلمين والقرآن الكريم.

وهو غني بالمعلومات والمراجع، ويتميز الموقع والكتاب بأنه موجز وسهل القراءة ويحتوي على الكثير من المعرفة العلمية.

موقع دليل المسلم الجديد

www.newmuslimguide.com

موقع يشرح للمسلم الجديد ما يجب عليه تعلمه عن الإسلام وهو يعرض محتواه بأكثر من ٢٦ لغة.

موقع المرأة في الإسلام

www.womeninislam.ws/en

الموقع قائم على توضيح مكانة المرأة وقيمتها في الإسلام، ويوضح حقوقها التي كفلها لها الإسلام، وكيف رفع الإسلام الظلم عنها ورد لها اعتبارها ومكانتها المنوطة بها، وكيف كانت تُعامل ويُنظر لها قبل الإسلام، ويعرض ذلك بمقارنة مكانة المرأة في الديانات والحضارات المختلفة كالصينية، والهندية، واليهودية، والرومانية، واليونانية.

ويعرض الموقع العديد من المعلومات الشائكة حول المرأة في الإسلام كتعدد الزوجات، والحجاب، وسفر المرأة دون محرم.

الموقع مترجم ل ٦ لغات هي الإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، والإسبانية، والبولندية، والروسية.

موقع خطواتي الأولى في الإسلام

www.1ststepsinislam.com/en

يركز الموقع على فئة حديثي الإسلام، فهو يقوم بشرح العديد من الأمور والفرائض الخاصة بالإسلام التي تناسب المسلمين حديثًا، الذين لم يتمكنوا من معرفة كل شيء عن أساسيات الإسلام بعد.

الموقع يشرح الفرائض بوضوح، فيشرح كيفية الوضوء وأداء الصلاة، والأحكام الفقهية الخاصة بالصوم، والحج والعمرة، والزكاة، وهو مترجم إلى ٦ لغات.

الإسلام سؤال وجواب

islamqa.info/ar

موقع ثري بالعديد من الفتاوى عن الإسلام وبمختلف اللغات.

موقع الرسول ﷺ

www.pbuh.us/en/

يهتم الموقع بعرض سيرة الرسول ﷺ العطرة، ويعرض الكثير عن حياته، ويبين صفاته وأخلاقه الحميدة، ويوضح كيف كان يتعامل مع الصحابة ومع المشركين، وكيف كانت دعوته وصبره على الدعوة، وتحمله الأذى في سبيل ذلك.

ويعرض الموقع أهم المواقف في حياة الرسول ﷺ. الموقع متعدد اللغات.

موقع أرض الإسلام

www.islamland.com

الموقع عبارة عن مكتبة مصغرة تضم العديد من الكتب والمقالات والمرئيات عن الإسلام، ويعرض العديد من المواضيع الشائكة حول الإسلام ويوضحها ويحللها، ويناقش العديد من المعلومات الخاطئة. فهو موجه بصفة عامة للمسلمين الجدد وغير المسلمين، ويساعد غير المسلمين على فهم الإسلام ومبادئه وأحكامه وفرائضه، ويشرح العقيدة بطريقة مبسطة. الموقع مترجم ل ٨ لغات وهي الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والدنماركية والبولندية والفنلندية.

منصة زادي للتعلم الشرعي المفتوح

zadi.net

منصة زادي نشأت من أجل إيصال العلم الشرعي الأساسي لغير المختص، وذلك عبر مساقات (كورسات) يسيرة ومبسطة بعيدة عن الإسهاب والتفصيلات الزائدة. وهي باللغة العربية حاليًّا.

نشاط

ابحث عن مواقع إلكترونية وتطبيقات للجوالات لتعليم الإسلام، وطوِّر قائمة تعريفية بها عبر سؤال ونقاش طلبة العلم المسلمين في منطقتك، ثم شاركها على صفحات التواصل الاجتماعي.

التقويم

١ **ماذا تفهم من قوله تعالى:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ – ٥]؟

٢ علِّل:

١. ارتباط العلم بالأخلاق.

٢. انحراف الفرق الضالة عن العقيدة الصحيحة.

٣. أهمية التمييز بين العالِم الحق وغيره.

٤. إنزال القرآن مُفَرَّقًا على دفعات متعددة على مدى ثلاث وعشرين سنة.

٣ أجب بصح أو خطأ وصحِّح الخطأ:

١. ( ) ليس للإسلام سوى مصدر واحد لمعرفة أحكامه وهو القرآن الكريم.

٢. ( ) الحق من أسماء الله عز وجل.

٣. ( ) من طرق تحصيل العلوم: التلقي عن العلماء الموثوقين واستفتائهم والتعلم منهم.

٤. ( ) كان الصحابة يتلقون العلم عن النبي ﷺ دفعة واحدة.

٤ ما هي الأوليات التي يجب على المسلم تعلمها؟

٥ عدِّد مصادر تعلم العلوم الشرعية؟

ماذا بعد التعلم؟

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يستنبط آداب طالب العلم.
- يكتشف أن العلوم الشرعية علوم عملية، تستلزم البحث والتطبيق العملي والتحليل والتركيب والتقويم والإبداع، وليست معتمدة على مجرد الحفظ والاستذكار.

آداب طالب العلم

قال عبد العليم: جولتنا في مدينة العلم كانت ممتعة، فقد تعلمت من حوارنا جواب الأسئلة: لماذا نتعلم؟ وماذا نتعلم؟ وما الغاية من هذا العلم؟ وما فضله ومكانة أهله؟ والمحتوى الذي سأدرسه وأولوياته؟ وكيف نتعلم؟ ومصادر التعلم الموثوقة؟ وما الوسيلة والأدوات التي تساعدني على التعلم؟

وأظن أننا وصلنا لنهاية الجولة وللسؤال الأخير، وهو: ماذا علينا بعد أن نتعلم؟

قلت: نعم، ولكن قبل أن نختم بسؤال (ماذا علينا بعد التعلم؟)، لابد من التنبيه والإشارة إلى مسائل يحسن بطالب العلم مراعاتها، وتتعلق بآداب طالب العلم وصفاته، ثم نختم بجواب السؤال.

دعنا نعود لحديث جبريل عليه السلام الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لنتأمَّل ونتدبَّر:

قال رضي الله عنه: بينما نحن عندَ رسولِ الله ﷺ إذ طلَع علينا رجُلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعَرِ، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يعرفُه منا أحد، حتى جلسَ إلى النبيِّ ﷺ **فأسندَ ركبتيه إلى ركبتيه، ووضَعَ كفيه على فَخِذَيْه**، وقال: يا محمدُ، أخبرني عن الإسلام. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **الإسلامُ أن تَشْهَدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمَّدًا رسولُ الله، وتُقيمَ الصلاةَ، وتُؤْتِيَ الزكاةَ، وتَصومَ رمضانَ، وتَحُجَّ البيتَ إن استطعْتَ إليه سبيلًا**. قال: صدقْتَ. قال: فعجِبْنا له يَسْأَلُه ويُصَدِّقُه.

قال: فأخبرْني عن الإيمانِ. قال: **أن تُؤْمِنَ باللهِ، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، وتؤمنَ بالقدرِ خيرِه وشرِّه**. قال: صدَقْتَ. قال: فأخبرْني عن الإحسانِ. قال: **أن تَعْبُدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تَكُنْ تراه فإنه يراك**. قال: فأخبرْني عن الساعةِ. قال: **ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائلِ**. قال: فأخبرْني عن أَماراتِها. قال: **أن تَلِدَ الأَمةُ ربَّتَها، وأن ترى الحُفَاةَ العُراةَ العالةَ رعاءَ الشاءِ يَتَطاولون في البُنْيانِ**. قال: ثم انطلَقَ، فلبِثْتُ مليًّا، ثم قال: **يا عمرُ، هل تدري مَن السائلُ؟** قلْتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: **فإنه جبريلُ أتاكم يُعَلِّمُكم دينَكم**. [أخرجه مسلم:٨].

تأمَّل الحديث مليًّا وحاول استنباط منهج التعلم وآداب العالِم والمتعلم.

١. اكتب أكبر عدد ممكن من العبارات الدالة على الآداب الواردة في الحديث الشريف.

٢. صنِّف العبارات التي كتبتها وفق عدد من المعايير:

أ. معيار القيمة: محمودة (مرغوبة) أو مذمومة (مرذولة).

ب. معيار الجهة: (المعلِّم) و(المتعلم) و (المكان).

ت. معيار الأهمية والأثر: (كثير) أم (قليل) أم (متوسط)؟

ث. فكر في معايير أخرى، واستعملها في مزيد من طرق التصنيف.

بعد الانتهاء من قراءة هذا المحور تستطيع العودة إلى هذا التمرين وتقارن بين ما كتبته وبين ما ورد في الكتاب.

بإمكانك الرجوع إلى الكتب التي شرحت هذا الحديث، مثل كتب شرح الأربعين النووية، وأيضًا شرح حديث جبريل في تعليم الدين، للشيخ عبد المحسن العباد البدر؛ لتكتشف عدد العبارات والآداب التي لم ترد الإشارة إليها في عصفك الذهني.

قلت لعبد العليم: إن الأدب والأخلاق في الإسلام لهما مكانة عظمى، وخصوصًا في مجال التعلم والتعليم، والاهتمام بهذه التفاصيل له أثر على نفسية العالِم والمتعلم، ورأس مال طالب العلم وما يزينه ويميزه عن غيره هو الأدب والأخلاق؛ فهي المكسب الحقيقي له، وكان سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - يحرصون على الأدب قبل العلم، وهذا ما تعلموه من حديث جبريل.

وبالعودة لحديث جبريل سأذكر أهم آداب طلب العلم -سواء كانت للمعلم أو المتعلم- وستشير أنت إلى الموضع الذي استنبطنا منه المعنى من الحديث الشريف:

آداب طلب العلم	موضع الاستنباط من الحديث
الآداب النفسية:	
التواضع واحترام المعلم.	
نسبة الفضل والعلم إلى الله تعالى.	
الآداب الاجتماعية:	
التباسط مع الناس.	
الوقار.	
التعاون والعطاء.	
ترك الجدال واتباع الدليل.	
احترام الوقت.	
الآداب الأخلاقية:	
إخلاص النية لله تعالى عند طلب العلم.	
علو الهمة والصبر على طلب العلم.	
النبل وسماحة النفس.	
عدم ذكر أحد بسوء.	

آداب طلب العلم	موضع الاستنباط من الحديث
الآداب العلمية:	
التجرد والإنصاف.	
التدرج في التعلم؛ فيبدأ بالأهم ثم المهم، ويبدأ بصغار المسائل قبل كبارها؛ لأن المقصود العمل وليس كثرة معرفة المسائل.	
الحرص على السؤال النافع.	
نسبة الكلام لأهله.	
البحث عن الحق.	
جودة المدارسة بحسن الاستماع والفهم.	
جودة الحفظ.	
إذاعة العلم ونشره للغير	

قال عبد الله بن المبارك: أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر.

وقال ابن القيم: للعلم ست مراتب أولها حسن السؤال، الثانية حسن الإنصات والاستماع، الثالثة حسن الفهم، الرابعة الحفظ، الخامسة التعليم، السادسة -وهي ثمرته- العمل به ومراعاة حدوده.

وقد كان يقال: ما أحسن الإيمان، ويزينه العلم، وما أحسن العلم، ويزينه العمل، وما أحسن العمل، ويزينه الرفق، وما أضيف شيء إلى شيء مثل حِلم إلى عِلم.

إثراء

العلوم الشرعية تستلزم التطبيق والعمل

قلت لعبد العليم: وصلنا إلى السؤال الأخير: ماذا بعد التعلم؟

قال: متشوق لمعرفة الجواب.

قلت: اقرأ وتأمَّل واستنبط من النصوص التالية:

قال الله تعالى معاتبًا المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢-٣].

قال النبي ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأَل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه» [الترمذي: ٢٤١٧، وصححه الألباني].

وقال ﷺ: «لما أُسْرِيَ بي مررت برجال تُقْرَضُ شفاههم بِمَقَارِيضَ من نار. قال: فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاءِ خطباء من أمتك يأمرون الناس بِالْبِرِّ وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون» [حديث صحيح رواه الإمام أحمد: ١٣٤٢١].

وقال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» [البخاري (٧١)، ومسلم، (١٠٣٧)].

علم بدون عمل هو حجة الله على عبده، ولا بد للمسلم من مزيد حرص على تطبيق ما تعلمه، لأن العلم أمانة، ومسؤولية، وله حق على طالبه، وحق العلم تعليمه والعمل به.

العلم وسيلة من وسائل الفوز برضا الله، وليس مقصودًا لنفسه، وإنما هو وسيلة يتوصل بها إلى العمل، فليس بمجرد صورة العلم يكون نافعًا بل بمعناه، وإنما ينال معناه من تعلمه للعمل، فكلما دلَّ صاحبَه على فضل اجتهد في نيله؛ وكلما نهاه عن نقص بالغ في مباعدته، فحينئذ يكون العلم نافعًا.

النتيجة

وانظر إلى جملة من أقوال سلفنا الصالح وعلمائنا الكبار:

١. يقول الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما استغنى أحد بالله إلا احتاج إليه الناس، وما عمل أحد بما علَّمه الله إلا احتاج الناس إلى ما عنده.

٢. وقال أيضًا رضي الله عنه واصفًا حال الصحابة: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن". [جامع البيان في تأويل القرآن (١/ ٨٠)]

٣. وقال سفيان الثوري رحمه الله: "العلم يهتف بالعمل فإن أجابه، وإلا ارتحل" [جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٠٦)].

٤. وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: "من عمل بما يَعْلم، كُفي ما لم يَعْلم" [سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٢)].

٥. وقال الحسن البصري رحمه الله: "كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه، وهديه، ولسانه، ويده". [الآداب الشرعية (٢/ ٤٥)].

العلوم الشرعية علوم عملية تستلزم البحث والتطبيق العملي والتحليل والتركيب والتقويم والإبداع وليست معتمدة على مجرد الحفظ والاستذكار، ومن أسباب حفظ العلم العمل به ثم تعليمه للآخرين، يقول أحد العلماء المسلمين وهو وكيع بن الجراح رحمه الله: "إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به" [مقدمة ابن الصلاح، (ص:٢٤٧)].

احذر

نشاط

ابحث مع مجموعة من الأصدقاء فوائد العمل بالعلم على المتعلم.

بإمكانك الرجوع إلى كتاب: "اقتضاء العلم العمل" للخطيب البغدادي، وتلخيص الفوائد منه.

قلت لعبد العليم: الإنسان المسلم يطلب العلم من أجل أن يعمل به، فلا يصح بحال من الأحوال أن تستوي حال طالب العلم مع غيره من الناس ممن لا حظ لهم فيه، ومن أعظم الخسارة والخديعة للنفس: أن يكون عند الإنسان معرفة وعلم، ثم بعد ذلك يستوي في عمله مع من لا علم له، فهذه خسارة عظيمة؛ ومثل هذا حاله كالطبيب الذي يدخِّن بشراهة، وهو يعلم ضرر الدخان، فما فائدة علمه؟ وما الذي يميزه عن الجاهل؟ فينبغي أن نتذكر هذا المعنى دائمًا، وأن يظهر أثر العلم على سمتنا، وهدينا، وأخلاقنا، وأعمالنا، وتعاملنا مع الناس.

إثراء

ناقش المقولة التالية مبديًا رأيك فيها:

الناس في العلم والعمل أربعة أصناف:

الأول: من رزقه الله علمًا وعملًا:

وهؤلاء خلاصة الخلق، وأئمة هذا الصنف الأنبياء والرسل، ثم يليهم أتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين، وهم في ذلك درجات.

الثاني: من حُرم العلم والعمل:

وهذا الصنف شر البرية، وهم الصم البكم العمي الذين لا يعقلون.

الثالث: من فُتح له باب العلم، وأُغلق عنه باب العمل:

فهذا في رتبة الجاهل أو شرٌّ منه، وما زاده العلم إلا وبالًا وعذابًا.

الرابع: من رزقه الله حظًا من الإرادة والعمل، ولكن قل نصيبه من العلم:

فهذا له نصيب من الخير، وإذا عرف فضل العلم أقبل عليه، وحسن عمله.

ونور العلم لم يُحجب عن القلوب لمنعٍ من جهة المُنعِم سبحانه، ولكنه حُجب لخبث وشغل من جهة القلوب، فالقلوب المملوءة بالماء لا يدخلها الهواء، والقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله.

نشر العلم بين الناس:

قال عبد العليم: ثم ماذا بعد العمل بالعلم؟

قلت: بعد العمل بالعلم لا بد من شكر الله عليه ونشره بين الناس.

تأمل مليًّا فيما يلي:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٠]، فالعلم نعمة من الله تستوجب الشكر، ومن شُكرها بذلها في مرضاته جلَّ وعلا وتعليم الناس، وإصلاح الأرض قيامًا بواجب الاستخلاف، وألا تستعمل العلم فيما هو محرم أو باطل أو فيه إفساد في الأرض.

قال ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً» [البخاري: ٣٤٦١].

وقال ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ». [الترمذي: (٢٦٥٦) وصححه الألباني].

ألا يدل ما سبق على أهمية تَبليغ دَعْوةِ الحقِّ إلى النَّاسِ ونَشر العلم بينهم حتَّى يَنتشِرَ الدِّين والعلم به؟

والحديث الأخير فيه حث على نشر المعلومة بأمانة، وفيه دعاء من النبيِّ - عليه الصلاة السلام - لِمَن اشتغل بسُنته وبلَّغها أنْ يجعلَه ذا نضرة وبهجة؛ حيث يكون وجْهه مُشْرقًا مُضيئًا في الدنيا والآخرة، فتكون عليه البهجة في الدنيا، ويكون ذا نضرة وبهجة في الآخرة.

التقويم

١ علِّل:

١. ربط القرآن الكريم في آيات كثيرة بين الإيمان والعمل الصالح كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء:٩]

.....

.....

٢. من أسماء القرآن الكريم: الفرقان، النور المبين.

.....

.....

٣. ضعف الفقه بالدين من أسباب الغلو والتطرف.

.....

.....

٤. أهمية التعلم عند العالِم الثقة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٢ ما منهجية التعامل الصحيح مع القرآن والسنة؟

٣ على ماذا يدل قول النبي ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً» [البخاري: ٣٤٦١]؟

الخاتمة

بهذا نكون قد انتهينا من جولتنا في مدينة العلم، وتعرفنا على أهم طرقها ومعالمها، فنسأل الله أن تكون جولة نافعة. وبإمكانك الآن رسم خريطتك لتكون طالبًا للعلم على بصيرة، وقبل أن أودعك في محطة الختام، فإن ها هنا أمورًا من الحَسَنِ استصحابُها وأنت ترسم خارطة رحلتك لتعلم الإسلام:

- أخلص النية في طلب العلم واجعله لوجه الله تعالى.
- استشعر الثواب في طلب العلم واحتسب الأجر، فكلما أحسست بالثواب زاد اجتهادك وعلت همتك.
- لا تشتِّت نفسك، بل حدِّدْ لك غايةً وفق أولويات التعلم وانطلق إليها، "فإذا عزمتَ فتوكَّل على الله".
- احرص على صحبةٍ تشتغل بالعلم وتتنافس في التحصيل، ولازم المراكز الإسلامية، وإن استطعت صاحب عالِـمًا أو طالب علم -ولو عبر الإنترنت- لما لذلك من أثر في بقاء الحماسة لطلب العلم وإعلاء الهمم ومنع الفتور والتقاعس.
- ضع خطة للتعلم ووزعها على الأيام والأوقات؛ وإذا فاتك نصيب الفجر فأدِّه الظهر، أو العصرِ فأدِّه المغرب، واجعل لكل يومٍ من أيامك هدفًا خاصًّا تحقق به مرحلةً في رحلة تعلمك، وإياك والتأجيلَ والتسويف، فإنه شعار الشيطان يلقيه في قلوب المؤمنين ليصرفهم عن الأجر العظيم.
- اجعل لوقت تعلمك العلم حُرْمَةً لا تُنتَهَك، حدِّد له أوقاتًا لا يشاركه فيها غيره، فزمن رحلة التعلم اجعله خالصًا له ولا تزاحمْه بغيره من الأعمال.
- زاوج بين المدارسة، وهي التعلمُّ دراسة وتدريسًا، وبين الممارسة، وهي التطبيق العملي لما تعلمته.
- داوم على العلم وطلبه؛ لأن العلم لا يتعلق بسن أو مرحلة معينة، بل هو منهج حياة، فإن انتهيت من أولويات التعلم فانتقل لمستوى أعلى. روي أن المسيح عليه السلام قيل له: إلى متى يَحسن التعلم؟ قال: "ما حسنت الحياة"، وقد قال مالك بن أنس: «لا ينبغي لأحد يكون عنده العلم أن يترك التعلم".
- انشر العلم بين الناس، وبلِّغ آيات القرآن وسنة النبي ﷺ لتنال بركة دعاء النبي ﷺ لك.
- اجعل لك ساعات خلوة تناجي فيها مولاك، وتبثه شكواك، وترفع إليه كف الضراعة أن يصلح عملك ويسدد قولك ويهديك الرشاد.

نسألُ اللهَ تعالى أنْ يُثَبِّتَنا على تعلُّم علم الدين، وأنْ يزيدَنا علمًا، وأنْ يُوَفِّقَنا للعملِ بما تعلّمْنا، مُخْلِصينَ لهُ سبحانَهُ وتعالى، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

مركز أصول
www.osoulcenter.com

قد يحتار المسلم في رسم خطته المناسبة لتعلم دينه، وإن من التحديات التي تواجهه في هذا العصر: معرفة ما الذي يجب عليه تعلمه من أمور دينه ابتداءً، ووسيلته في التعلم وتحصيل العلم الشرعي، خصوصًا مع انتشار المعرفة بشكل يجعل المرء في حيرة؛ من أين يبدأ؟ وماذا يأخذ وماذا يترك؟ وكيف يفرِّق بين المصدر الموثوق وغير الموثوق؟

وفي هذا الكتاب، سنستعرض هذه الأمور -بحول الله تعالى- ليكون عونًا لك أيها المسلم لمعرفة أجوبة هذه التساؤلات وغيرها مما يخطر في بالك في رحلتك لتعلُّم أمور دينك.

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة السلوك والتزكية، التي تضم أربعة عشَر كتابًا بُنِيَت وَفق طريقة التعلم الذاتي؛ لإكساب المسلم ما يحتاج إليه من معارف تُعينه على تهذيب نفسه وتزكيتها، بُغية الثبات على دين الله، والدعوة إليه ونشره بين الآخرين.

osoulcenter

www.osoulcenter.com
لتحميل هذا الكتاب وغيره من الكتب، من خلال متجر أصول:

osoulstore.com